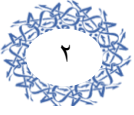


جَائِزَةٌ

أَبْنِ أَبِي جَاهِلٍ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ / مُطَّلِقِ الْجَائِزَاتِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَتْمَانِ الْأَكْمَلَانِ عَلَى الْمُبْعُوثِ رَحْمَةً
لِلْعَالَمِينَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَارْفَعْنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَزِدْنَا عِلْمًا وَاعْفِرْ لَنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

أَمَّا بَعْدُ ...

✧ فنبدأ اليوم بمشيئة الله تعالى مع هذا النظم المبارك العظيم من أنظام علمائنا -رحمة الله عليهم- في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، وهذا النظم المعروف بـ"القصيدة الحائية" للإمام أبي بكر عبد الله بن الإمام أبي داود سليمان ابن الأشعث السجستاني -رَحِمَهُ اللهُ- هو عالم وأبوه عالم، وهذا النظم من أوائل الأنظام التي نظمت في عقيدة أهل السنة والجماعة، فإنه نظم متقدم.

✧ فالإمام ابن أبي داود -رَحِمَهُ اللهُ- توفي في سنة ستة عشر وثلاثمائة، أي: عاش في القرن الثالث الهجري آخر القرن الثالث الهجري وأول القرن الرابع، فإنه توفي سنة ٣١٦، وهذه فترة متقدمة في التاريخ، ولذلك اخترت هذا المتن لأنه من علمائنا المتقدمين؛ ولأنه مختصر، ولأنه نظم، والنظم كما قال الإمام السفاريني -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- في نظمه للعقيدة المسمى [الدرر المضية]، ومن هنا نظمت لأرجوزة أو نظمت لعقيدة أرجوزةً وجيزةً مفيدة.

ثم ذكر قال: لأنه يسهل للحفظ كما يروق للسمع ويشفي من ظم.

✧ فذكر للنظم فائدتين:

✧ الفائدة الأولى: أنه يسهل للحفظ، فالنظم الذي يكون على قافية معينة ونمط معين يسهل حفظه، والعلم حفظ وفهم، فإذا درست العلم في نظم يسهل عليك حفظه ويبقى عليك الفهم.

✽ والفائدة الثانية: أنه يروق للسمع أي: يتشوف ويتشوق الإنسان إذا سمع قصيدة منظومة على قافية معينة، ويروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه استعمل النظم في التعليم، وذلك أن أعرابياً أسلم وطفق الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - يعلمونه الصلاة وأوقاتها، وعدد ركعاتها، ولكنه لم يحفظ، يقولوا له: الظهر أربع، العصر أربع، كذا المغرب ثلاث ما ضبطها.

فراهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: (يا أخ العرب، إن الصلاة أربع فأربع ثم ثلاث بعدهن أربع، ثم صلاة الفجر لا تضيع)، أعطاه بيتين: إن الصلاة أربع فأربع، ثم ثلاث بعدهم أربع، ثم صلاة الفجر لا تضيع، أحفظتها؟ قال: نعم، قال: اذهب بها).

فإذا صحّت هذه الرواية فذلك دليل على أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أول من نظم النظم التعليمي؛ لأن الشعر يُراد له:

✽ إما مجرد الأدب وبيان المشاعر.

✽ أو يُراد به التعليم وذكر الأحداث وذكر المعلومات.

فلعله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهي ليست بأول أوائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فله أوائل كثيرة، لعله أول من نظم النظم التعليمي.

فهذه القصيدة التي بين يدينا هي من النظم التعليمي الذي نظم فيه صاحبه وهو الإمام أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أحد العلماء الكبار، ولعلي أذكر بعض ما ذكر فيه من ثناء من قبل بعض العلماء.

يقول الحافظ أبو محمد الخلال الشهير المعروف الذي ضبط مسائل الإمام أحمد، وجمعها من أصحابه - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - قال: (كان ابن أبي داود أحفظ من أبيه)، ومعروف أن أباه كان من الحُفَظ الكبار، أبوه الإمام أبو داود سليمان الأشعث السجستاني، المتوفى سنة خمسٍ وسبعين ومئتين، صاحب كتاب [السُنَن]، ومن كبار أصحاب الإمام أحمد، فهو وأبوه حنبلياً معدودان ضمن الحنابلة.



وقال عنه الحافظ صالح بن أحمد الهمداني عن المؤلف الناظم: (إمام العراق وعلم العلم في الأمصار نصب له السلطان المنبر فحدث عليه لفضله ومعرفته، وكتب عنه عامة مشايخ بلدنا ذلك الوقت، وكان في وقته بالعراق مشايخ أسند منه ولم يبلغوا في الآلة والإتقان ما بلغ).

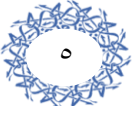
وقال أبو حامد بن أسد: (ما رأيت مثل عبد الله بن سليمان بن الأشعث) أي: في العلم، وسماه الإمام أبو الفرج بن الجوزي بمحدث العراق وابن إمامها في عصره.

وقال عنه ابن خلكان: (كان أبو بكر عبد الله بن أبي داود من أكابر الحفاظ ببغداد، عالماً متفقاً عليه، إماماً ابن إمام)، وترجمته شهيرة معروفة، وقبل أن أتجاوز ترجمته، أحب أن أنبه على كلمة أو كلمتين رويتا عن أبيه فيه، وهاتان الكلمتان مما أخذ عليه -رحمه الله-، فأحب أن أنبه عليها لبيان حقيقتها: **أما الكلمة الأولى:** فهي ما يروى عن أبيه أنه قال: (ابني عبد الله كذاب)، يقول: ابني عبد الله هذا كذاب، وقد أخذها بعض الحساد وتداولها وقالوا: أبوه كان يقول عنه كذا وكذا وكذا.

★ **والجواب عن هذه الكلمة:** أنها لم تثبت بسند صحيح، بل إن الإمام الذهبي -رحمه الله- في ترجمته ابن أبي داود في [سير أعلام النبلاء] روى هذه الكلمة وقال: (إن صحّت)، وهذا علامة واضحة على أنها لم تثبت عنه، وأنها محلّ تشكيك، هذا الرد الأول.

★ **الرد الثاني على فرض صحتها:** فننقل كلام الإمام الذهبي -رحمه الله- حيث قال: (لعل قول أبيه إن صحّ)، وهذا يدلّ على أنه لم يثبت عنده هذه الكلمة، (أراد الكذب في لهجته لا في الحديث، فإنه حجة فيما ينقله) إلى آخر كلامه.

وقد أطال العلامة عبد الرحمن المعلمي -رحمه الله تعالى- في ذكر هذه الفرية أو هذه الكلمة ونقضها، وأتى على بنائها بكلام مطول راجعه في كتاب [التنكيل فيما في تأنيب الكوثري من الأباطلة].



✽ **أما الكلمة الثانية:** فهي أن أبي بكر بن أبي داود دُعي للقضاء، فأثر عن أبيه أيضًا -رَحِمَهُ اللهُ- أنه قال: (إنَّ من البلاء أن يُدعى عبد الله إلى القضاء)، فأخذ بعض الناس هذه الكلمة مسلبةً على ابن أبي داود.

★ **أولاً:** وهذا أيضًا يُرد عليه بأن يُقال: بأنَّ هذا لم يثبت أيضًا إنما يُروى، فلا يثبت بسندٍ صحيح.

★ **ثانيًا:** أنه لو فرض على فرض صحته فإنَّ هذا من تواضع الإمام، ومن هضمه وهضم ولده على طريقة السلف في التواضع.

★ **وهناك ردُّ ثالث أيضًا:** وهو أن الابن مهما بلغ شأنه وارتفع شأوه فإنه يبقى في عين أبيه، ويبقى في عين مَنْ عرفه صغيرًا صغيرًا، هذا الشأن في الناس، يُروى مثل ولكن قد لا يكون صحيحًا (أنه مَنْ عرفك صغيرًا لم يوقرك كبيرًا)، الَّذِي عرفك وأنت صغير فمهما بلغت فهو يرتبط في ذهنه صغرك، وما كنت تفعله في صغرك، فربما هذه الكلمة خرجت من هذا المخرج.

✽ **وعلى كل حال:** فهو إمامٌ عظيم له شأنٌ في العلم.

◀ **من تلاميذه:** الإمام الأجرى المعروف، والإمام ابن شاهين أصحاب المصنفات المعروفة.

◀ **له عدة مؤلفات:** منها هذه المنظومة، ومنها كتاب اسمه كتاب [المصاحف] مطبوع، وعنده كتاب اسمه كتاب [البعث] أيضًا مطبوع، وغيرها من المصنفات.

✽ **وفاته:** توفي -رَحِمَهُ اللهُ- في السنة السادسة عشر بعبج الثلاثمائة.

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين وللمسلمين أجمعين، اللهم آمين.

قال الإمام ابن أبي داود -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- في منظومته:

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى *** وَلَا تَكُ بِذَعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ
وَدِنٌ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ النَّبِيِّ *** أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجٌ وَتَرْبُحٌ
وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامٌ مَلِكِنَا *** بِذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا
وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا *** كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لِحْهُمْ وَأَسْجَحُوا
وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنَ خَلْقًا قَرَأْتَهُ *** فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوَضِّحُ

قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: (تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى *** وَلَا تَكُ بِذَعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

وَدِنٌ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ النَّبِيِّ *** أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجٌ وَتَرْبُحٌ).

قبل البداية بشرح هذه المنظومة أحب أن أنبه إلى أهميتها:

✳ **ومن أهميتها:** شروح العلماء لها، فإنها منظومة قد نالت عناية العلماء فرووها بالأسانيد، وهي موجودة في كتب العلماء وشرحوها، من أقدم مَنْ أثار عنه شرح لها: الإمام الآجري -رَحِمَهُ اللهُ- المعروف، ولكن شرحه مفقود، ولكن وجد بعد ذلك شرح لأحد العلماء المتقدمين وهو الإمام ابن البنا الحنبلي، المتوفى سنة واحدٍ وسبعين وأربعمائة من علماء القرن الخامس، وشرحه هذا مطبوع وعنوانه [الأصول المجردة] هكذا اسمه [الأصول المجردة على القصيدة المجرودة]، شرح على قصيدة ابن أبي داود الحائية مطبوع في غلاف، وهو من الشروح المتقدمة، وهو شرح مبني على النقل والرواية، فيروي فيه الآثار والأحاديث بالأسانيد -رَحِمَهُ اللهُ-.

ومن شروح هذه المنظومة النافعة: كذلك شرح للإمام السفاريني، محمد بن أحمد السفاريني أبو العون، المتوفى سنة ثمانٍ وثمانين بعد المئة والألف، ألف ومية وثمان وثمانين، له شرح نفيس على هذه المنظومة اسمه [لوائح الأنوار السنينة على منظومة ابن أبي داود السلفية]، وهو شرح عظيم، مطبوع في مجلدين.

✦ أما من المعاصرين:

فقد شرحه عددٌ من العلماء المعاصرين شروحاً كثيرةً جداً، منها المطبوع، ومنها المرئي والمسموع.

قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى).

ذكر الإمام السفاريني -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- في شرحه أنه لم يقف على نسخة هذه المنظومة فيها تسمية، وأنَّ البسمة وجدت من بعض النساخ، ولكنها كثيراً من النسخ لم يجد فيها التسمية، وذكر لهذا العمل أو لهذا الصنيع -أي: ترك التسمية- ثلاثة توجيهات:

✦ التوجيه الأول: أنه ربما ذكر المؤلف التسمية ولم ينقلها عنه الناقلون، لا سيما وأنها تُذكر عادةً في كتب التراجم، مثل [سير أعلام النبلاء] ذكرها كاملة، وفي عادة هؤلاء أنهم ربما يغفلون البسمة أحياناً، فربما ذكرها المصنف -رَحِمَهُ اللهُ- ولكنها لم تُنقل، هذا التوجيه الأول.

✦ التوجيه الثاني: أنه قد يكون من باب هضم المصنف لنفسه، وعدم اعتباره لشأن نظمه، وأنه لا يدخل في قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يروى عنه: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَمْ يُبْدَأْ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ فَهُوَ أَبْتَرٌ»، وأنه ربما لا يعتبر كلامه ذا بال، لكن هذا الوجه ضعيف؛ لأنَّ الشَّانَ فِي الْمَعَانِي الَّتِي حَمَلَ هَذَا الْكَلَامَ لَا فِي الْكَلَامِ ذَاتِهِ، والمعاني معاني عظيمة، معاني تتعلق بكتاب الله، وتتعلق بعقائد المسلمين.

✽ التوجيه الثالث: أنه قد يكون متبعًا لما روي عن الإمام الزهري أنه قال: (مضت السنة ألا يكتب في الشعر بسم الله الرحمن الرحيم)، هناك مذهبٌ للسلف أنهم كانوا لا يجعلون بين يدي الشعر التسمية، وهذه كلمة مأثورة عن الإمام الزهري الإمام المعروف، المتوفى سنة خمسٍ وعشرين ومئة. ولكن هذا أيضًا ضعيف، هذا الوجه ضعيف؛ لأنَّ المقصود بكلام الزهري -رَحْمَةُ اللَّهِ- هو الشعر الَّذِي لا علاقة له بكلام الشريعة، وإنما المقصود به الشعر الَّذِي ربما يكون فيه نوع من الغزل، أو نوع من الرثاء، أو غير ذلك من الأغراض، أمَّا إذا كان الشعرُ متعلقًا بشيءٍ من علوم الشريعة، فإنَّ هذا الكلام لا يشملُه، وجرت عادة العلماء قديمًا وحديثًا على ذكر التسمية بين يدي الشعر التعليمي المتضمن للعلوم الشرعية.

قال -رَحْمَةُ اللَّهِ-: (تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى *** وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

وَدِنَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي *** أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُ وَتَرْبِحُ).

بدأ الناظم -رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى- قصيدته هذه بمسألةٍ مهمة، وقضيةٍ جوهرية ينبغي أن يبتدأ بها طالب العلم قبل أن يتكلم أو يتعلم مسائل العقيدة، وهي مسألة مصادر التلقي، لاحظ أنه ذكر في هذين البيتين مصادر التلقي الصحيحة عند أهل السنة والجماعة؛ مصادر تلقي العلم

فقال: (تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى *** وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

وَدِنَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي *** أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُ وَتَرْبِحُ).

فذكر -رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى- أن مصادر التلقي الصحيحة المعتبرة عند أهل السنة والجماعة هي الكتابُ والسنة، فقله: (تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ)، حبل الله هو كتابه، هو دينه، هو شريعته، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وروي في حديث مشهور رواه الترمذي وغيره في بيان صفات القرآن، جاء فيه أنه حبل الله المتين، قال: «وهو حبلُ الله المتين، مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ نَجَا وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ هَلَكَ»، وهذا المعنى صحيح، ولكن الحديث هذا في إسناده ضعف، فلم يثبت إسناده ولكن معناه صحيحًا.

☆ فحبل الله عزَّجَلَّ:

- إن شئت أن تقول: هو القرآن فهذا صحيح.

- وإن شئت أن تقول: هو القرآن والسنة، فهذا أيضًا صحيح.

- وإن شئت أن تقول: هو الإسلام بشكلٍ عام فهذا أيضًا صحيح.

فإن هذا الاختلاف في العبارات هو من باب اختلاف التنوع لا من باب اختلاف التضاد.

(تَمَسَّكُ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى).

الهدى والهداية: تُذَكَّرُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ وَيُرَادُ بِهَا أَرْبَعَةٌ مَعَانٍ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي كِتَابِهِ [بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ]، إِذَا وَجَدْتَ كَلِمَةَ هِدَايَةٍ أَوْ هُدًى وَمَا يَتَصَرَّفُ عَنْهَا مِنْ أَلْفَاظٍ فَإِنَّهَا لَا تَخْرُجُ فِي الْقُرْآنِ عَنْ أَرْبَعَةٍ مَعَانٍ:

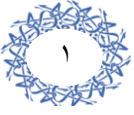
❁ المعنى الأول: الهدايةُ العامة المشتركة حتى بين البشرِ والبهائم، كما في قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿الَّذِي

أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، فقوله عَزَّجَلَّ هنا: ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ هي الهدايةُ العامة المشتركة

الَّتِي يَدْخُلُ فِيهَا حَتَّى الْبَهَائِمِ، أَي: هَدَاهُمْ لَطَرِقِ مَعَايِشِهِمْ، وَكَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ

رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ١-٣].

قَدَّرَ: أَي: خَلَقَ وَكَوَّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثُمَّ هَدَى كُلَّ مَخْلُوقٍ لِمَا يَصْلِحُهُ.



كـ ومن ذلك: أن الطفل الرضيع هداهُ لكيفية الرضاعة، وعلمه كيف يرضع وهو طفل للتوقد خرج من بطن أمه، فمن علمه كيف يرضع؟! ومن علمه أن الثدي يُرْتَضَع ونحو ذلك من الأمور؟! وقل مثل ذلك في صغار البهائم.

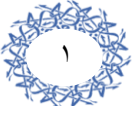
إذًا هذا هو المعنى الأول من معاني الهداية في القرآن.

✽ المعنى الثاني: هدايةُ البيان والإرشاد، وذلك في مثل قول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، أي: بيّنا ووضحنا طريق الخير وطريق الشر، فلا غموض في الشريعة، هذا معنى هداية الإرشاد، ليس هناك أمر غامض لا تتدري ماذا تفعل، كل شيء واضح في الشريعة، كما قال الله عزَّجَلَّ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]؛ ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾.

ثم بعد هذه الهداية قد تهدي وقد لا تهدي، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧].

✽ فالهداية الأولى في قوله عزَّجَلَّ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ أي: أرشدناهم ووضحنا لهم السبيل، وبيّنا لهم الطريق، ولكنهم استحبوا العمى على الهدى، فلم يختاروا طريق الهداية، فهذا إذاً هو المعنى الثاني من معاني الهداية في القرآن.

✽ المعنى الثالث: هداية التوفيق، وهي كثيرة في كتاب الله، من مثل قول الله عزَّجَلَّ: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النحل: ٩٣]، وفي الآية التي قرأناها قبل قليل في سورة إبراهيم قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٤]، أي: هداية التوفيق، فيضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَنْ يَشَاءُ، ويهدي مَنْ يَشَاءُ.



✽ الهداية الرابعة أو المعنى الرابع من معاني الهداية في القرآن: هي الهداية إلى الجنة يوم القيامة أو الهداية إلى النار، -نسأل الله السلامة والعافية-، فهي ثمرة هداية التوفيق إن كان في الجنة، كما قال الله **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾** [يونس: ٩].

وكذلك قول أصحاب الجنة لبعضهم: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا هَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾** [الأعراف: ٤٣]، أمّا في أصحاب النار -نسأل الله السلامة والعافية-، فقول الله **عَزَّجَلَّ: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾** [الصافات: ٢٢-٢٣]، أي: اذهبوا بهم إلى هذا المصير، -نسأل الله السلامة والعافية-.

◀ إذا -إخواني الكرام- الهداية في كتاب الله **عَزَّجَلَّ** وفي الشريعة عمومًا لا تخرج عن هذه المعاني الأربعة:

✽ الهداية العامة المشتركة.

✽ هداية الإرشاد والبيان.

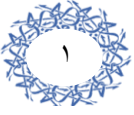
✽ هداية التوفيق.

✽ الهداية يوم القيامة لدار القرار.

فقوله هنا: (وَاتَّبِعِ الْهُدَى)، أي: اتبع ما بين لك في الكتاب والسنة من أسباب الهداية، ومن المعاني التي جاء بها كتاب الله **عَزَّجَلَّ** وسنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

قال: (وَلَا تَكُ بَدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ).

(وَلَا تَكُ) أصلها: ولا تكن، ولكن حُذفت النون هنا تخفيفًا جوازًا لا لزومًا، أي: الأصل أنها لا تكن بدعيًّا، ولكن حُذفت جوازًا على مذهب بعض اللغويين، لا لزومًا.



(ولا تَكْ بَدْعِيًّا)، البدعي هو المتلبس بالبدعة، والبدعة -إخواني الكرام- في اللغة: مأخوذة من الابتداع بمعنى الاختراع، وهي الإتيان بشيء على غير مثال سابق.

أما البدعة في الاصطلاح: فإن العلماء تنوعت عباراتهم في بيان معناها:

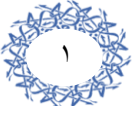
✱ من ذلك: قول الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- في كتابه [جامع بيان العلم وفضله]، وهو من الكتب العظيمة النفيسة، يقول في بيان معنى البدعة قال: (هي ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، أما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً، وإن كان بدعة لغةً). انتهى كلامه.

✱ ومن التعاريف الجيدة للبدعة: تعريف الإمام الشاطبي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- في كتاب [الاعتصام]، حيث عرف البدعة بقوله: (هي طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، فُصد بها التقرب إلى الله عزَّ وجلَّ)، لاحظ قوله: (هي طريقة في الدين)، فخرج بذلك ما يتعلق بأمر الدنيا، كن أكبر المبتدعة في أمور الدنيا ما عندك مشكلة، بل بالعكس هذا أمر مرغَّب فيه، وذلك بمعنى الاكتشافات والاختراعات الدنيوية أمر مرغوب؛ إذا كان فيه نفع للناس.

أما في أمور الدين فإياك إياك أن تبتدع في دين الله عزَّ وجلَّ؛ وذلك لما في صحيح مسلم وغيره عن أم المؤمنين عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أنها قالت: «مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وفي لفظ «مَنْ عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

◀ إذا طريقة في الدين مخترعة، مخترعة أي: ليس لها مثال سابق وليس لها أصل سابق، تضاهي الشرعية، تضاهي أي: تشبه، فيمت يُقصد بها، أي: يقصد بها صاحبها أن يتقرب إلى الله، وأن يتعبد الله عزَّ وجلَّ بهذه الطريقة المبتدعة.

✱ والبدع -إخواني الكرام- نوعان أساسيان:



✽ النوع الأول: بدعة في الدين.

✽ النوع الثاني: بدعة في الدنيا.

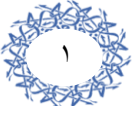
♦ **أما البدعة في الدنيا:** فمباحة لأنها لا يُقصد بها التقرب إلى الله عزَّ وجلَّ لذاتها، ولو نفعت شيئاً من أمور الدين، هي بدعة دنيوية ولكن قد يُنتفع بها في شيء من أمور الدين.

مثال: هذا الجهاز الذي أُممي الذي أتكلّم به، وهذه الكاميرا التي تصوّر هل كانت في عهد النبي عليه الصلاة والسلام؟ لا، هل خدمت الدين؟ نعم، **فهل لأنها تعلقت بشيء من الدين تصبح حراماً؟**
الجواب: لا، لأنه لا يُقصد بها التعبد لذاتها، أنا ما أعتقد أن الميكرفون عبادة بذاته، ولكنني انتفعت به واستفدت منه لأجل نشر الدين أو خدمة الدين.

قل مثل ذلك في وسائل الإعلام التي تنشر شيئاً من الدين، قل مثل ذلك في طريقة بناء المساجد، مثلاً: قديماً كانت المساجد تُبنى من الطين، ثم أصبحت تُبنى من الطابوق والإسمنت ويوضع الرخام، ما كان هذا على عهد النبي عليه الصلاة والسلام، نقول: نعم ولا يضر؛ لأنه لا يُتعبّد بذات الطابوق ولا بذات الطين ولا بغيره.

◀ إذا هذا النوع الأول، ولك أن تسميها البدع اللغوية من حيث اللغة، بدعة من حيث اللغة، كما قال ابن رجب -رحمه الله-: (أما ما كان له أصل من الشرع يدلّ عليه فليس ببدعة شرعاً، وإن كان بدعة لغةً)، وقل مثل ذلك في الكتب الآن، هذا الكتاب الذي أماننا طباعته بهذا الشكل ما كان على عهد النبي عليه الصلاة والسلام، ولكن خُدم به الدين ونحو ذلك.

✽ **نقطة مهمة:** من أطلق بعض العلماء المتقدمين من أشهرهم الإمام الشافعي -رحمه الله- أطلق عبارات يفهم منها أن البدعة منها ما هو حسن، ومنها ما هو قبيح، فبعض الناس يحدث عنده شيء



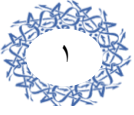
من الخلل، نقول: لا، ما جاء في كلام السلف؛ كالإمام الشافعي -رَحِمَهُ اللهُ- وغيره من ذكر شيء من البدع بنوع من الاستحسان، فالمقصود به: البدعة اللغوية -التي مثلما ذكرت قبل قليل-.

والأمثلة التي يذكرونها تؤيد هذا المعنى، **مثل**: تأليف الكتب، تأليف الكتب لم يكن موجودًا في عهد النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، لم يكن في عهد الصحابة كتاب في الفقه، ولا كتاب في مصطلح الحديث، ولا كتاب في أصول الفقه، فهي محدثة، ولكن الحدث الذي فيها والبدعة التي فيها من باب البدعة اللغوية؛ لأنه لم يتعبد بذات هذا التأليف، نعم نحن استعملنا هذا الأمر الجديد في خدمة الدين، ولم نتعبد به لذاته، إذاً هذا هو النوع الأول.

✱ **النوع الثاني**: البدعة في الدين، كقول عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- التي ترويه عن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا» أي: في ديننا «ما ليس منه فهو رد»، وهذا ضلالٌ كله محرّم، لا يجوز، وينبغي أن يحذر منه الإنسان ويحذر منه، وهذا النوع ينقسم إلى نوعين، **البدعة في الدين نوعان**:
★ **النوع الأول**: بدعة قولية اعتقادية، وذلك كمقالات الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة الذين هم على غير طريقة أهل السنة والجماعة؛ كالخوارج والمعتزلة، والجهمية والمرجئة وغيرهم.

★ **النوع الثاني**: البدع العملية والتعبدية، وهذه بدورها تنقسم أيضًا إلى قسمين:

✱ **القسم الأول**: منها بدعية أصلية حقيقية، وهي المقصود بها: أن يبتدع الإنسان عبادة ليس لها أصل في الشريعة، من حيث الأصل لا أصل لها، كأن يتعبد الله بالوقوف مثلاً، أو ألا يستظل، وهذا حديث في عهد النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن امرأة أو رجلاً نذر أن يصوم، وأن يقف ولا يقعد، وأن يصمد للشمس ولا يستظل، فرآه النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، قال: ما له يقف بالشمس؟ قال: نذر أن يصوم، وأن يقف بالشمس، وألا يقعد، قال: «مروه أن يقعد، وأن يستظل، وأن يتم صومه»؛ **لأن الصوم له أصل شرعي**، أمّا مجرد الوقوف وعدم الاستظلال ليس له أصل في الشريعة، فنهاه النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن هذا الأمر لأنه بدعة.



وقل مثل ذلك في كل عبادة قُصد بها التعبد لله **عَزَّجَلَّ** ولا أصل لها شرعي:

﴿ **من أشهر أمثلتها:** الاحتفال بمولد النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فلم يكن على عهد النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** شيء اسمه الاحتفال بالمولد، ولا في عهد صحابته -**رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ**-، ولا في عهد التابعين لهم بإحسان، حتى جاء القرن الرابع أو الخامس الهجري فأحدث هذا الأمر واستمر إلى يوم الناس هذا، وهو بدعة يُتَعَبَدُ بها، ويُقْصَدُ بها يوم معين بطرق معينة، بوصفٍ معين، فهذه بدعة، وكأنَّ الفاعل لها يستدرك على مَنْ سبقه.

❖ **فكيف تأتي بأمر تظن أنك أتيت بخير مما جاء به السابقون؟** وهذا من الإشكالات الموجودة في البدع، أنه لو كان خيرًا لسبقنا إليه النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأصحابه.

☼ **النوع الثاني من البدع العملية:** ما يُسمَّى بالبدع الإضافية، وهي البدع التي يكون أصلها مشروعًا، ولكن يُضاف لها ما يجعلها بدعة، وهي أنواع أيضًا:

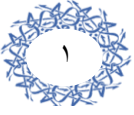
❖ كأن يُزاد فيها، كأن يصلي الإنسان مثلًا الظهر خمس ركعات، أصل صلاة الظهر مشروعة لكن أن يُزاد فيها يجعلها مبتدعة، وغير ذلك.

❖ أو تُغَيَّرَ في صفتها وطريقتها، كأن يلتزم بشكلٍ مستمر في كل صلاة أن تُؤتى أذكار الصلاة بصوتٍ جماعيٍّ منظمٍ منغمٍ على هيئةٍ معينة، نعم أذكار الصلاة ثابتة ويأتون بالأذكار الواردة، **ولكن هل كان**

الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- يأتون بالأذكار على هذه الصفة أو على هذه الهيئة؟

الجواب: لا.

﴿ إذا هذه الهيئة مبتدعة وإن كان أصل الأذكار مشروعة.



نعم إن كان هناك تعليم، يعلم مرة مرتين كما أوثر عن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أنه كان يرفع صوته بالتكبير؛ كما قال ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: «ما كنا نعرف القراءة صلاة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلا بالتكبير»، أمّا أن يكون على طريقة مستمرة فهذه بدعة منكراة يجب أن تُنكر.

✽ النوع الثالث من البدع الإضافية: هي البدع التي يُخصص فيها الأمر المشروع:

- إمّا زماناً.

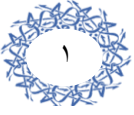
- أو مكاناً.

- أو عدداً.

يُخصصها بزمان معين، مثل ما يُسمّى بـ **صلاة الرغائب**، صلاة الرغائب صلاة أنكرها العلماء، وهي صلاة ولكن يُلتزم فيها بقيام ليلة أول جمعة من شهر رجب، يقول: أول يوم جمعة من شهر رجب تقوم الليل، تُخص هذه الليلة بالقيام، وتُسمّى صلاة الرغائب، **القيام مشروع أم غير مشروع؟ مشروع**، وارد فيه فضائل عظيمة، **هل هناك نهي عن قيام يوم الجمعة؟ الجواب: لا.**

لماذا نقول هذه بدعة؟ لأنهم خصصوا شيئاً لأمر مشروع لم يُخصصه الله ولا رسوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ولذلك نقول: هذا لا يجوز، وهذه بدعة، قم الليل إن شئت، لكن لا تُخصص تقول: أقوم أول جمعة من شهر رجب، **من أين لك هذا التخصيص؟! من أين لك؟! لذلك نقول: هذه بدعة وغير ذلك كثير.**

﴿إِذَا (وَلَا تُكْ بِدَعِيًّا)، أي: لا تدخل في هذه البدع بأنواعها لا القولية ولا العملية، وتمسك بما جاء عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، كما قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: ما كانت على ما كنت عليه أنا اليوم وأصحابي.»



(لَعَلَّكَ تَفْلِحُ)، أي: إذا تمسكت بالكتاب وتمسكت بالسنة وابتعدت عن البدع أفلحت، والفلاح هي كلمة جامعة لكل خير.

قال الإمام الخطابي -رحمه الله-: (ليس في كلام العرب كلمة مفردة تستوفي بها العبارة عن معنى هذه الكلمة)، أي: كلمة الفلاح من أجمع الكلمات الدالة على الخير، ولا يوجد مرادف لها من العرب بمثل جمعها.

(لَعَلَّكَ تَفْلِحُ) أي: تفوز بخيري الدنيا والآخرة.

وَدِنٍ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي *** أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجٌ وَتَرْبِيحٌ

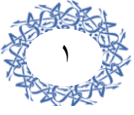
(وَدِنٍ) أي: اتخذ كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ديناً، دن بها، اعتنقها، وقابل الله عز وجل بها، فالدين هو ما يعتقده الإنسان، وما يقابل به ربه سبحانه وتعالى.

(دِنٍ بِكِتَابِ اللَّهِ)، كلام الله سبحانه وتعالى وحبله المتين، وصراطه المستقيم الذي من تمسك به نجا، ومن أعرض عنه هلك.

(والسُّنَنِ الَّتِي *** أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجٌ وَتَرْبِيحٌ).

❖ في هذا البيت ردٌّ على طوائف من طوائف المنحرفين:

❖ أول طائفة: التي تنكر سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وتعتقد أن الشريعة تؤخذ من القرآن فقط، وتهدر المصدر الثاني من مصادر التشريع، وهذه الطائفة أو هذا المعتقد من اعتقده بهذا المعنى أن السنة ليست بحجة فهو كافر مرتدٌ خارجٌ عن الإسلام، الذي يعتقد أن السنة ليست مصدرًا للتشريع، وأنها لا قيمة لها، وليست حجة فهذا كافر مرتد؛ لأنه كذب القرآن، ولأنه اعتقد أن شيئاً مما جاء به القرآن الكريم غير واجب التطبيق؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].



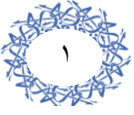
لما أمر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بطاعة الله واضح أن المقصود طاعة ما جاء في القرآن الكريم، وفي قوله **عَزَّوَجَلَّ**:
﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾، أمر بطاعة الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إذا كان حياً، واتباع أوامره إذا كان ميتاً؛
لأنَّ الَّذِي لا يقول بذلك ويحصر هذه الآية في حياة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فإنه يدعي شاء أم أبي أن
القرآن غير صالح لكل زمانٍ ومكان، وأنَّ هذه الآية خوطب بها مَنْ عايش النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقط.
نحن الآن إذا أنا أريد أن أعمل بالقرآن، وقرأت قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: **﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾**، ما المطلوب
مني؟ ماذا أفعل؟ هذا الَّذِي ينكر السُّنَّة يقول: اعمل بالقرآن، أنا بعمل بالقرآن الآن، أريد أن أطيع
الرسول، كيف؟ لاحظ فجعل القرآن يأمر بأمرٍ غير قابل للتطبيق؛ لأنه الَّذِي ينفي السُّنَّة فهذا يريد أن
نعمل بالقرآن بشيءٍ لا نستطيع أن نعمل به.

فيها أن الله **عَزَّوَجَلَّ** قد أمرنا بطاعة النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فهذا يعني أن السُّنَّة واجبة العمل، وواجبة
التطبيق، وواجبة الاتباع، والَّذِي يقول غير ذلك: فأول ما ناقض القرآن، وقد تنبأ النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**
بهذه النابذة، وتنبأ بهذه المقالة، كما صحَّ عنه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أنه قال: «يوشك أن يأتي رجلٌ متكئٌ على
أريكته يأتيه الأمر من أمري، ثم يقول: لا ندري ما جاءنا من كتاب الله عملنا به».

وهذا بالضبط ما حصل من هؤلاء، وهؤلاء متناقضون؛ لأنهم إذا قيل لهم: من أين لكم إنكار السُّنَّة؟
قالوا: لأنَّ النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** نهى عن كتابة السُّنَّة، فنقول له: كيف عرفت أنه نهى؟ ألم تقل إنك
تنكر السُّنَّة؟! فعند هذه جاهز، فهؤلاء متناقضون فهو يريد من السُّنَّة ما يؤيد مذهبه.

**﴿ ومن تناقضاتهم: أنهم يحتجون بكلام أرسطو وسقراط وفلان وعلان ممن ماتوا منذ قرون
ويحتجون بكلامهم وعباراتهم مع انقطاع الأسانيد، وجهالة الرواة ولا يحتجون بسُّنَّة النبي
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متصلة الأسانيد الواضحة وضوح الشمس الظاهرة ظهوراً لا مزيد عليه، هذه طائفة.**

☆ **الطائفة الثانية:** الَّذِينَ يقسمون السُّنَّة الصحيحة إلى سنةٍ يُحتج بها، وسُنَّةٍ لا يُحتج بها، ويسمون
السُّنَّة الَّتِي لا يُحتج بها السُّنَّة الأحادية أو أحاديث الآحاد الَّتِي لا يُعمل فيها بحد زعمهم وقولهم في



العقائد أو في الأحكام، ويقصرون العمل على ما تواتر عن النبي **صلى الله عليه وسلم**، وهذه -يا إخواني- من البدع الحادثة التي لم يعرفها السلف -رحمهم الله جميعاً-.

*** ومن طرق أعداء الدين في تفرغ الدين من محتواه؛ لأنَّ أعداء الدين لا يستطيعون أن يصرحوا بشكل مباشر بمحاربة الدين، وأنَّ الإسلام لا تعمل بالقرآن ولا تعمل بالسنة، ويتخذون لذلك أساليب، فيقولون من أساليبهم ما يُسمَّى مدرسة تفسير النصوص التي اتبعها النصارى في دياناتهم لما أرادوا نزع عبادة الدين فيما يُسمَّى بعصر الأنوار في القرن الثامن عشر والتاسع عشر وقبل ذلك اصطدموا بالنصوص الواردة في الكتب المقدسة، ولا يريدون أن يتخلصوا منها، فماذا فعلوا؟**

فرغوها من معانيها، وأحدثوا مدارس تُسمَّى مدارس تفسير النصوص الهرمينوطيقا يسمونها، والفينومينولجيا، ونحو ذلك من العبارات التي يبقى في خلاصة الأمر كلام يُتلى ويُترنم به ولا معنى له، وأنَّ التفسير يختلف باختلاف القراء، أنت افهم ما شئت، وأنت افهم ما شئت، وأنت افهم ما شئت والدنيا حلوة ما عندنا مشكلة، كل واحد يفسر على كيفة، ونحترم هذا الكتاب والكتاب المقدس، وتدخل الفندق تجده واضع الكتاب في الدرج، ويُطَبَّع بشكل جميل، لكن تعال في واقع الناس لا تطبيق ولا شيء، فهذا أسلوب من أساليب التهرب من الالتزام بالشرائع.

الأسلوب الثاني: هو أسلوب رد شيء من الشريعة، بما يُسمَّى برد جزء من الأحاديث الصحيحة تحت مسمى أحاديث الآحاد، يقول: هذه غير ثابتة، أو أنها ثابتة بشكل ظني لا قطعي.

فقالوا: إذا لا تؤخذ بالعقائد، وهذا من ضلالات أهل البدع الذين أتوا بها منذ القديم، كثير من أهل الكلام لا يعترفون بالسنة الأحادية، وقالوا: العقائد تثبت باليقين، طيب، يا جماعة، إذا أتينا للسنة المتواترة نجدها قليلة جداً لا تُذكر! مما تواتر حديث (مَنْ كَذَبَ وَمَنْ بَنَى لَهِ بَيْتًا وَاحْتَسَبَ وَكَذَا وَشَفَاعَةُ الْخَوْصِ)، فهي محدودة، هذه نظمها التاودي بن سودة في هذين البيتين.

ماذا نفعل في بقية الشرائع، في بقية الدين الذي لم يرد فيه سنة متواترة؟ تُهدر كل هذه الأحكام؟

✽ أولاً: هذا واضح أنه يُراد به تفرغ الدين من محتواه، واتخاذ هذا الكلام ذريعة لهذا الفعل، هذا أولاً.

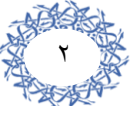
✽ ثانياً: هذا مخالف لما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان يبعث الرسول الواحد إلى الجهة الكاملة، إلى مثلاً بعث معاذاً إلى اليمن وهو واحد ومعه أبو موسى الأشعري أي: إلى الآن آحاد، بالشرعية كاملة عقيدةً وشرعية، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله».

✽ شهادة "أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله"، عقيدة أم ليست بعقيدة؟ عقيدة، هل بعث معه عدد التواتر؟ هل بعث معه مئة ومئتين؟ قال: حتى يصير يقين؟ لا، واحد، واكتفى المرسل إليهم به، واكتفى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعث الوفود إلى مصر وإلى الشام، وإلى الروم وإلى فارس آحادًا بالشرعية كاملة بما فيها من عقائد.

كذلك -يا إخوان- ما عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتبعه عليه أصحابه -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-، واتبعهم على ذلك أهل السنة والجماعة قبول ما صحَّ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السنة، سواء كانت من أحاديث الآحاد أو من الأحاديث المتواتر، طالما أنها صحَّت عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بسندٍ صحيح، فيؤخذ بها ويُعمل بها في العقائد وفي الأحكام، ولا يفرق بين العقائد والأحكام في ذلك.

فقوله هنا -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (وَدِنٌ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ النَّبِيِّ)، عموماً سواء كانت آحاداً أو متواترة، (أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُ وَتَرْجُحُ)، تستفيد أمرين:

✽ الأمر الأول: أن تنجو من العذاب، كما قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فعلى الإنسان أن يفكر أولاً بنجاة نفسه قبل أن يفكر بربحها، فكر أول شيء كيف تنجو؟ ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾، قبل أن تفكر بدخول الجنة فكر بأن تُزحزح عن النار.



إِذَا (وَدِنَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي *** أَنْتَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُ) تبتعد عن الهلاك، (وَتَرْبِحُ) بعد ذلك.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يرزقنا وإياكم النجاة والفلاح والربح في الدنيا والآخرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، نقف عند هذا، والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

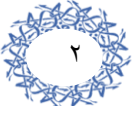


جَائِزَةٌ

أَبْنُ أَبِي خَالِدٍ

٢

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ / مُطْبَعُ الْجَامِعِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَتَمَّانِ الْأَكْمَلَانِ عَلَى الْمُبْعُوثِ رَحْمَةً
لِلْعَالَمِينَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

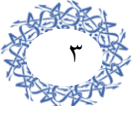
اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَازْفَعْنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَزِدْنَا عِلْمًا وَاغْفِرْ لَنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.
أَمَّا بَعْدُ ...

☆ فهذا هو المجلس الثاني من مجالس شرح [القصيدة الحائية في عقيدة أهل السنة والجماعة] للإمام/
الحافظ أبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -.

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.
اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولوالدينا وللحاضرين وللمسلمين أجمعين.

قال الإمام ابن أبي داؤود - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - في منظومته:

وَقُلْ غَيْرَ مَخْلُوقٍ كَلَامٌ مَلِيكِنَا بِذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا
وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لِحَبِّهِمْ وَأَسْجَحُوا
وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقٌ قِرَاتُهُ فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضِحُ
وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضِحُ
وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ تَعَالَى الْمُسَبِّحُ
وَقَدْ يُنْكَرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا بِمُصَدَّقٍ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصْرِحُ
رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ فَقُلْ مِثْلًا قَدْ قَالَ فِي ذَلِكَ تَنْجِحُ



قال -رحمة الله-:

وَقُلْ غَيْرَ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا بِذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

للإمام أبو بكر بن أبي داود -رحمة الله- في هذه المنظومة المختصرة ذكر -كما سبق- مقدمة في مصادر التلقي الصحيحة عند أهل السنة والجماعة، وهي: الكتاب والسنة، كما في أول المنظومة:

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

وعرفنا أن حبل الله هو القرآن والهدى هو السنة، ثم أكد ذلك بالبيت الثاني فقال:

وَدِنٌ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبِحُ

أي: اتخذها ديناً.

★ ثم بدأ ببيان بعض البدع الكبرى التي ظهرت في الإسلام، بعدما حذرنا قال: (وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ)، ذكر بعض هذه البدع والتي لم يتكلم عنها العلماء -رحمة الله عليهم- إلا بعد ظهورها.

◀ قد يقول قائل: لماذا هذه البدع لم ينص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها بدع بأعيانها؟

✪ الجواب: لأنه لم يخرج مَنْ يتكلم بهذه البدعة، لذلك تجد أن العلماء كتب العقيدة قديماً كانت صغيرة في الغالب يسيرة وأغلبها روايات، فكلما زاد المنحرفون والمبتدعة بدعةً اضطر العلماء للرد عليها، فتجد بعد ذلك الكتب فيها توسع وفيها تفصيل، وإلا فالأصل الإمساك والثبات على ما جاء في القرآن والسنة وعدم التوسع، هذا هو ما كان عليه السلف -رحمة الله عليهم-.



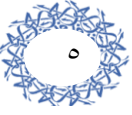
❖ ولكن لما ظهر المبتدعة اضطر العلماء للرد، وكان من أوائل البدع التي ظهرت في الإسلام من أوائل البدع بدعة الخوارج أولاً، وهم من أوائل أهل البدع الذين ظهروا، بل قد تنبأ بهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأحاديث صريحة، هذا من دلائل نبوته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وبين أنهم سيقاتلونهم، وقال لعمار: «ستتلك الفئة الباغية»، وقال مشيراً لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سيكون منهم مَنْ يكون مقطوع اليد ذو الشدية، وأشياء كثيرة أحاديث كثيرة بينها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وناظرهم الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -، فقد ظهروا في وقت مبكر في الإسلام، حتى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «أحرورية أنت؟» والحروري: هم الخوارج.

❖ وهؤلاء الخوارج من أصول معتقدتهم قضية التكفير بالكبيرة، وأنهم كانوا يعتقدون أن مرتكب الكبيرة كافر خارج من الملة، ولهم طبعاً بعض الأقوال الأخرى.

❖ ثم ظهرت بدعة أخرى أيضاً في عهد الصحابة، وهي بدعة القدر، ظهر القدرية، ومن أشهرها وأظهرها معبد الجهني، ومعبد الجهني هذا كان يقول: إن الأمر أنف، ما معنى الأمر أنف؟ أي: أن الله عَزَّجَلَّ تعالى الله عما يقول لم يخلق أفعال العباد، لماذا؟ اعلّموا - يا إخواني - أن كل بدعة أتيت من الغلو في حق، كل البدع هي في حقيقتها غلو في حق.

❖ مثلاً: ما الذي دفع القدرية لقول ذلك: أن الله عَزَّجَلَّ لا يظلم أحداً - وهذا حق -، ولكنهم غلوا وأساءوا الفهم، وظنوا أن كون الله عَزَّجَلَّ خلق أفعال العباد أن هذا فيه ظلم، فوقعوا في هذه البدعة، وإلا لو ناقشتهم يقول لك: لا، أنا أريد أن أنزه الله عن الظلم، أنا أريد أن أرفع عن رب العالمين صفة الظلم، نقول: لا، مَنْ قال لك أصلاً أن هناك ظلم حتى يُرفع؟

❖ الروافض أتوا من الغلو في آل البيت، وحب آل البيت حق، ولكنهم غلوا في هذا الحق، النواصب يجوبون من باب ردة فعل في الدفاع عن بعض الصحابة، وردة فعل عن غلو الرافضة في آل البيت أصبحوا يهاجمون أو يسبون علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا بدعة باطل وهذا باطل.



كق القدرية - كما قلت قبل قليل - غلوا في هذا الجانب، فأتى بالمقابل الجبرية اللذين قالوا: لا، إنَّ الإنسان مجبورٌ على أفعاله، وهكذا دائماً تجد أن مَنْ يقول بدعةً أوتي من فهمٍ خاطئٍ لبعض الكلام؛ بعض الآيات، بعض الأحاديث.

✪ فهنا ظهرت بدعة القدرية، ثم ظهرت بدعةً أخرى بعد ذلك لا تقل خطورةً عن هاتين البدعتين وهي المقصودة في هذا وهي بدعة الجهمية.

★ مَنْ هن الجهمية؟

★ وكيف ظهروا؟

★ ولماذا حذر منهم العلماء وكفروهم؟

حتى إنَّ الإمام أحمد - رَحِمَهُ اللهُ - على قلة تصانيفه صنّف كتاباً كاملاً في الرد عليهم.

هؤلاء الجهمية اللذي ورد في كلام المصنف هنا:

وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لِحْهِمْ وَأَسْجَحُوا

هم أتباع شخص اسمه الجهم بن صفوان، الجهم بن صفوان من موالي بني راسب، قبيلة بني راسب هو من مواليهم، ولم يكن يُعرف بعلمٍ ولا تقوى ولا عبادة، وإنما كان عنده لسانٌ حاد، فأوتي ودخلت عليه البدعة من عدة جهات:

✪ الجهة الأولى: أنه تتلمذ على الجعد بن درهم، والجعد بن درهم هذا كان أيضاً من الموالي، وكان من موالي بني مروان، وكان مؤدباً لآخر الخلفاء الأمويين، واسمه مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، واللذي سقطت خلافة بن أمية في عهده في سنة مئة واثنين وثلاثين.

كان هذا الجعد بن درهم هو مربيه، حتى إنه لشدة تعلقه به كان يُسمّى مروان الجعدي نسبةً إليه، الجعد بن درهم هذا انحرف في عقيدته، وظنّ أنه إذا نسب صفةً لله **عَزَّجَلَّ** فإنّ في ذلك تشبيهاً لله **عَزَّجَلَّ** في خلق، فروي له حديث المحبة إنّ الله عادلٌ يحبك، هذا قال: لا، الله لا يحب -تعالى الله عما يقول-، لماذا قالوا؟ قالوا: لأنّ قال الجعد: (لأنّ المحبة نقص)، قال المحبة نقص، والله **عَزَّجَلَّ** ينزهه عن النقص.

👉 انظر كيف بدأ الانحراف في العقيدة في هذا الأمر في إدخال العقل الفاسد في تفسير النصوص الشرعية، ثم تطوّر الأمر فنفى أنّ الله **عَزَّجَلَّ** يحب، ونفى علو الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، واستواؤه على عرشه، حتى أشتهر بذلك، وأخذ عنه الجهم بن صفوان وكان تلميذاً له أخذ عنه، ويُقال: إنه كان زوج أمه، أخذ عنه هذه البدعة.

🌟 ثم كان هناك أحد الأمراء اسمه خالد بن عبد الله القسري، هذا الأمير كان على أنه ليس صافياً في سيرته، فإنه يُروى عنه أنه كان جباراً، ويُروى عنه أنه كان شرساً، ولكن كان يكره الزنادقة حتى سمي بقصاب الزنادقة، كان ما يسمع عن واحد يقول مثل هذا الكلام إلا يأخذه ويقتله، والقصة طبعاً مشهورة تعرفونها أنه طلب الجعد بن درهم حتى قبض عليه، ثم قتله في يوم الأضحى بعد صلاة العيد سنة مئة وأربعة وعشرين.

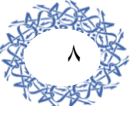
🌟 فقال بعدما خطب خطبة العيد قال: (يا أيها المسلمون، ضحوا تقبّل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم)، ثم نزل عن المنبر وضحى بالجعد بن درهم، ونقل هذه القصة جمع من العلماء، منهم الإمام أحمد نفسه -رَحِمَهُ اللهُ- في كتاب [الرد على الزنادقة والجهمية]، وذكرها ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ- في نونيته الشهيرة، فقال: (ضحى بجعد خالد أو شكر الضحية كل صاحب سنةٍ لله درك من أخي قربان)، وذلك في سنة مئة وأربعة وعشرين.

🌟 ولكن كان قد تأثر به مَنْ تأثر ومنهم الجهم بن صفوان، هذا المدخل الأول على الجهم.

✽ المدخل الثاني على الجهم: أنه كان يناظر الفلاسفة لا سيما طائفة كانت تُسمَّى بالسانية، هناك طائفة من فلاسفة الهند من ملاحدة الهند كانوا ينكرون وجود الله عَزَّجَلَّ اسمهم السانية، هذا قام الجهم بن صفوان يريد أن يناظرهم، لذلك دائماً نحن نحذر دائماً وأبداً من مناظرة الملاحدة وأهل البدع لغير المتمكن في العلم.

دائماً نقول لا تناظر، وكثير ممن مر علينا من الشباب الذي وقع في الإلحاد سبب ذلك أنه أراد حماساً للدين أراد أن يناظر الملاحدة، منهم هذا الجهم بن صفوان، الجهم بن صفوان دخل على السانية لينظرهم، قالوا له: وهذه المناظرة ذكرها الإمام أحمد في كتاب [الرد على الزنادقة]، قالوا له: (يا جهم هل رأيت ربك؟ فقال: لا، فقالوا: هل سمعته؟ فقال: لا، فقالوا: هل شممته؟ فقال: لا، فقالوا: هل حسسته؟ فقال: لا)، كلما قالوا له شيء قال: لا.

(قالوا: فيما تعبد؟) ماذا تعبد؟ قال: (فتحير الجهم وترك الصلاة أربعين يوم)، شكوه في الدين وهو لا علم عنده، رغم أن حجتهم هذه حجة منقوضة، كيف منقوضة؟ تعالوا لترى ترتيب هذه الحجة، ماذا قالوا هم؟ (هل رأيت ربك؟ قال: لا، هل سمعته؟ هل كذا؟ إلى آخره قالوا: إذاً ماذا تعبد؟) فتشكك، لو نعيد ترتيب حجتهم أن الله عَزَّجَلَّ لا يرى ولا يسمع ولا كذا ولا كذا ولا كذا ولا كذا، وكل ما لا يرى وما لا يسمع هو غير موجود، إذاً الله غير موجود.



★ كيف نبطل هذه الحجّة؟

★ هل مقدمتهم الأولى صحيحة؟

هنا وقع لبس عند الجهم، الجهم ماذا صار فيه؟ لنقول ماذا صار فيه، ثم نرجع لحجتهم، هذا الجهم تشكك، وأصيب بشك حتى أنه ترك الصلاة، ثم بعد ذلك بدأ يبحث فما اهتدى للحجّة الشرعية، وإنما لجأ لبعض النصارى، فقالوا له: سهلة هذه، حاججهم بالروح، فقل لهم: هل ترون روحكم؟ فاستأنس بهذه الحجّة وذهب إلى السمانية مرة أخرى وقال: هل ترون روحكم؟ قالوا: لا، هل تشمونها؟ قالوا: لا، قال: هل هذا؟ قالوا: لا، هل هذا؟ قالوا: لا، قال: إذا أنتم لا روح لكم.

◀ ثم بعد ذلك أوتي أنه قال بعدما أقرّ لهم بالمقدمة الأولى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُرَى، وكذلك الروح لا تُرى مع أنها موجودة)، قال: (إِذَا لَا يَجُوزُ أَنْ نَقُولَ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يُرَى وَلَا يُسْمَعُ)، فنفى عنه أنه يرى أو يُرى ونفى عنه كذا، ونفى عنه كذا، ونفى عنه كذا.

✦ نرجع لحجّة هؤلاء:

✽ أولاً: هل فعلاً الله عَزَّجَلَّ لا يُرى؟ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُرَى، يُرَى يوم القيامة، فنقول لهم: مَنْ قال لكم أنه لا يُرى؟ فَإِنْ قالوا: أنا لا أراه، أقول: وهل أنت الكون كله؟ أنت لم تراه، ولا يجوز لك أن تجعل نفسك حكماً على الكون، قل: أنا لم أره، صح، لكن لاحظوا المغالطة أنه تخلص من الفرد إلى العموم، أنا ما رأيته إذاً هو لا يُرى، مَنْ قال هذا؟ أنت ما رأيته غيرك رآه، أنت ما سمعته غير سمعه، موسى -عليه السلام- كلمه ربه عَزَّجَلَّ.

✽ إذاً مقدمتهم الأولى باطلة، وحتى مقدمتهم الثانية هبّ أنك لم تراه، هل كل موجود مرئي؟

الجواب: لا.



★ هل كل مسموع مرئي؟

الجواب: لا.

لاحظوا تهافت حُجَّتْهم وكيف أثرت في الجهم مع ما ضم إليه من اختلاطه بالجعد، ومع سلاطة لسانه بدأ ينشر هذا الكلام، ويبدأ ينشر نفي الصفات عن الله **عَزَّوَجَلَّ**، فصار صحيح أنه تلميذ الجعد لكن هو الَّذِي أظهر هذا المذهب، وهو الَّذِي أشهره؛ حتى سمي نفاة الصفات بالجهمية، الَّذين ينفون الصفات وينفون علو الله **عَزَّوَجَلَّ**، وينفون كلام الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** سموا بالجهمية.

❦ فقيل لهم: القرآن كيف تقولون فيه أنتم تنفون عن الله الكلام؟

انظر تسلسل البدعة، قالوا: صحيح نفي عن الله **عَزَّوَجَلَّ** الكلام، أمّا هذا القرآن فقد خلقه الله، لماذا قالوا: خلقه الله؟ حتى يرهبوا من الإقرار بكلام الله **عَزَّوَجَلَّ**، فانظر كيف البدعة جرت إلى بدعة! هذا الجهم قُتِلَ في سنة مئة وثمانية وعشرين هجرياً، كان قد شارك مع بعض الحركات الخارجية، بعض الخوارج خرجوا على بعض الأمراء في ذلك الوقت وشارك معهم الجهم؛ حتى قتله أحد القواد اسمه سلم بن أحوز.

★ سلم بن أحوز هذا لما رأى الجهم أسره، وأراد قتله فدخل عليه مجموعة من الناس يريدون أن يفتدوه فأبى، وحاولوا فأبى؛ حتى قال: لا تحاولوا والله لو كان الجهم في بطني لشققت بطني وقتلته، ثم قتله في سنة مئة وثمانية وعشرين، من مئة وثمانية وعشرين وهي الربع الأول من القرن الثاني إلى آخر القرن الثاني كانت هذه المقالة ميتة؛ وذلك لأن الخلفاء كانوا على السُنَّة.

❦ كان من أشهرهم: هارون الرشيد، هارون الرشيد -رَحِمَهُ اللهُ- كان مقرباً للإمام مالك، هارون الرشيد كان على السُنَّة، توفي هارون الرشيد سنة مئة وسبعة وتسعين، ثم حكم بعده ابنه الأمين، وكان الأمين هذا حكم سنة من مئة وسبعة وتسعين إلى مئة ثمانية وتسعين، ثم جاء المأمون، وهنا المصيبة!

✱ المأمون هذا وهو ابن هارون الرشيد التف حوله جمعٌ من المعتزلة والجهمية، وأثروا عليه، واقتنع بكلامهم، وتبنى معتقدهم، مئة ثمانية وتسعين هجريًا تقريبًا، ثم زينوا له أن يفرض هذا المعتقد على عموم المسلمين، قالوا له: ما يصير هذا المعتقد، وكان عموم المسلمين على السُّنة، ولكن هذا المأمون فتح باب شر على المسلمين، وكان الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَ هذا الأمر قاضي المأمون اسمه أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي الجهمي.

قال: (اقتل مَنْ لا يقول بذلك وأرغم الناس على ذلك، والناسُ تبعٌ لعلمائهم، قالوا: الزم العلماء بذلك)، فأرسل لعلماء الدنيا في زمانه، وامتحنهم، أرسل إلى قائد الشرطة في بغداد وأعطاه قائمة بالعلماء، قال: كل واحد منهم دعه يقر بمعتقد الجهمية وبالقول بخلق القرآن، -نسأل الله السلامة والعافية-، وفعلاً مع الأسف كثير من العلماء خوفاً من القتل صانعوا المأمون وقالوا بخلق القرآن، وبعضهم موه بالكلام، وبعضهم لم يصرح، كل ذلك خوفاً من القتل؛ حتى صمد أربعة فقط أربعة من العلماء صمدوا وأصروا على موقفهم بعدم القول بخلق القرآن:

١- الإمام أحمد بن حنبل. ٢- والإمام عبيد الله القواريري.

٣- والإمام الحسن بن حامد المشهور بسجاد. ٤- والإمام محمد بن نوح العجلي.

أربعة، ماذا كان يفعل قائد الشرطة؟ كان يأتي بالعالم اسمك كذا ويعطيه ورقة يقرأها فيه معتقد الجهمية أن القرآن مخلوق، قال: تقر بذلك؟ فإذا قال: نعم، دَوَّن اسمه، وإذا قال: لا، دَوَّن اسمه أنه ممن أنكر، فكلهم قالوا: نعم إلا هؤلاء الأربعة.

✪ ثم بعد ذلك أمر بتصفيدهم بالأصفاد وحبسهم، فلما صفدهم بالأصفاد امتحنهم مرة أخرى فأجاب القواريري وسجاد خوفاً من القتل، رأوا أنهم قد عذروا، **﴿إِلَّا مَنْ أكرهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيَانِ﴾** [النحل: ١٠٦]، بقي اثنان: الإمام أحمد ومحمد بن نوح، فأعاد قائد الشرطة الامتحان مرة أخرى فأبوا، فأرسل إلى الخليفة فقال: علي بهم، وكان في طرسوس وهم كانوا في بغداد، وطرسوس عن بغداد ألف وخمسمائة كيلو، فصفدهم بالأصفاد، وذهب بهم وسار من بغداد.

ثم شاء الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يموت محمد بن نوح في الطريق، وذلك في منطقة اسمها عانة، وقال كلمات مؤثرة جداً وهو على فراش الموت للإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ-، ارجعوا لها في ترجمة الإمام أحمد كيف أنه قال: يا إمام، أنت الآن الوحيد الذي ثبت على السُنَّة، فبقي الوحيد أنت الذي ثبت على هذا المعتقد وكذا وكذا، كلام مؤثر، فمات -رَحِمَهُ اللهُ- فصلى عليه الإمام أحمد ودُفِنَ في عانة.

✪ ثم كان يدعو الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ- في الطريق: **(اللهم لا تريني وجه المأمون)**، وهذا دعاءه في الطريق، فجاء خبر موته وهو في الطريق، سبحان الله! وهذا من كرامات هذا الرجل الصالح -رَحِمَهُ اللهُ- الإمام أحمد، ثم توقف هذا الجيش وأرسلوه، ثم قيل لهم: أرجعوا إلى بغداد، فرجع بالإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ- إلى بغداد، **حكم بعد المأموم أخوه المعتصم، وكان المعتصم هذا مشغول بالجهاد وكذا ما أولى مزيد اهتمام في قضية إجبار الناس على القول بخلق القرآن، ولكن مُنِعَ الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ- من التدريس بهذه الفترة في سنة مئتين وثمانية عشر تقريباً لمدة تسع سنوات إلى سنة سبعة وعشرين تقريباً.**

◀ ثم بعد ذلك أمتحن مرة أخرى الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ- حتى فتح الله **عَزَّوَجَلَّ** عليه بعد ذلك بمدة، فلذلك الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ- سمي بالصديق الثاني؛ **لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ حفظ الإسلام بأبي بكر الصديق أيام الردة، وبالإمام أحمد بن حنبل -رَحِمَهُ اللهُ- أيام الفتنة، لذلك أشتهر عنه -رَحِمَهُ اللهُ- بعد هذه الحادثة أنه إمام السُنَّة والصديق الثاني -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ورضي عنه-**.

ثم بعد ذلك أصبحت مقررًا ضمن معتقد أهل السنة والجماعة، (وَقُلْ غَيْرَ مَخْلُوقٍ كَلَامَ مَلِيكِنَا)، لا تقل كما قال الجهمية

بِذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ جِهْمٍ وَأَسْجَحُوا

وَلَا تُقَلِّ الْقُرْآنُ خَلْقَ قِرَائَتِهِ فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

هذا فيه ردٌ على طائفتين، البيت الثاني:

✽ (وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا)؛ ردٌ على طائفة اسمهم الواقفية.

لِمَنْ هُمُ الْوَاقِفِيَّةُ؟

الواقفية هم قومٌ بعد حادثة القول بخلق القرآن، لما يسألون: هل القرآن مخلوق؟ يقول: والله نتوقف في ذلك.

قال هنا: (وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا)، لا تتوقف بأن كون القرآن مخلوق أو لا، بل قل غير مخلوق (كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ جِهْمٍ وَأَسْجَحُوا) أي: أن هذه الطريقة إحدى الطرق التي اتخذها أتباع جهم لما انتشرت السنة ولم يستطيعوا أن يصرحوا أن القرآن مخلوق قالوا: نحن نتوقف لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق، نقول: لا، لا يُقبل التوقف.

❖ وهذا -يا إخواني- يجرنا إلى مسألة مهمة: وهي مسألة التوقف في الاعتقاد، هل يجوز أن تتوقف في الاعتقاد في مسألة عقدية تقول: أنا أتوقف أم لا يجوز؟

المسألة فيها تفصيل وهذا التفصيل مهم، وسأقرأ عليكم من كلام شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ- في كتابه [التسعينية] يقول: (الإيمان بكل فردٍ من تفصيل ما أخبر به الرسول، وأمر به غير مقدور)، ما تستطيع أن تحيط بكل ما جاء به النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، (إذ لا يوجد أحدٌ إلا وقد خفي عليه بعض ما قاله الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ ولهذا يسع الإنسان في مقالاتٍ كثيرة ألا يُقر فيها بأحد النقيضين) أي: هذا يقول شيء وهذا يقول عكسه، أنت لك أن تقول: أنا لا أقول بهذا ولا هذا، ولكن متى؟

❖ قال: في حالتين:

❖ الحالة الأولى: (إذا لم يبلغه أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفاها أو أثبتها)، إذا ما في حديث عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في هذه المسألة بعينها لك أن تتوقف.

❖ الحالة الثانية: (إذا لم يَقم دليلٌ شرعي بوجوب قول أحدهما)، أحياناً ما يكون الحديث صريح في القول، ولكن هناك أحاديث أو أدلة شرعية تعترض أحد القولين.

فإذا خلت المسألة عن حديثٍ صريح وعن أدلة واضحة ترجح هذين القولين لك أن تتوقف، تقول: أنا والله لا أدري، لا أعلم.

ثم قال شيخ الإسلام: (وَأَمَّا إِذَا كَانَ أَحَدُ الْقَوْلَيْنِ هُوَ الَّذِي قَالَهُ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دُونَ الْآخَرِ، فَهُنَا يَكُونُ السُّكُوتُ عَنْ هَذَا وَكِتْمَانُهُ: مِنْ بَابِ كِتْمَانَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى).

لا يسعك السكوت هنا، أن تقول: والله في حديث صريح عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في هذه المسألة، تقول: والله لا أدري، أسكت.

(وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ أَحَدُ الْقَوْلَيْنِ مُتَضَمِّنًا لِنَقِيضِ مَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْآخَرُ لَا يَتَضَمَّنُ مُنَاقِضَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يَجْزِ السُّكُوتُ عَنْهُمَا).

★ **إذا التوقف في العقيدة فيها تفصيل**، فالمسائل غير الواضحة التي ليس فيها نص صريح لك أن تتوقف، أما المسائل الواضحة الصريحة التي فيها نص عن النبي **عليه الصلاة والسلام**، هذه لا يسع الإنسان السكوت.

يؤيد ذلك: كلام نفيس عن الإمام أحمد -رحمه الله-، ذكره الإمام عبد ابنه في كتاب [السنة]، سئل الإمام أحمد عن الواقعة الواقفية الذين قالوا: نتوقف هل القرآن مخلوق أو لا، لاحظ كلام الإمام أحمد، قال الإمام أحمد: (من كان منهم يخاصم ويعرف الكلام فهو جهمي)، أي: من يقول: أنا أتوقف ونحن نعرف أنه يعرف ورجل يخاصم، ومطلع على المسائل وعارف الأحكام، لا ما نقبل منه يتوقف؛ لأن هذا يعتبر جهميًا، وهذه وسيلة للتلاعب.

(ومن لم يكن يعرف الكلام) ليس معروفًا بالجدل والكلام (يجانب حتى يرجع)، لا يتحدث معه يترك حتى يرجع عن هذا المعتقد، (ومن لم يكن له علم أصلاً يسأل ويتعلم)، إذا واحد قال: أنا والله ما أدري، ما عمر مرت علي المسألة أصلاً هل القرآن مخلوق أم لا؟ ما أدري، نقول: هذا يعلم ويبين له السنة.

إذا قول الناظم -رحمه الله-:

وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لِحْهُمْ وَأَسْجَحُوا

أي: هؤلاء الذين عندهم علم وعندهم جدل وعندهم قدرة على الكلام لا يسع الإنسان أن يتوقف في مسألة عقدية واضحة مثل مسألة القول بخلق القرآن.

(كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لِحْهُمْ وَأَسْجَحُوا) أي: أعلنوا ويبنوا.

وَلَا تَقُلُ الْقُرْآنَ خَلْقٌ قَرَأْتَهُ فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

هذه طائفة ثانية من الطوائف الذين تلاعبوا في باب القول بخلق القرآن.

✽ الطائفة الأولى: الواقفية.

✽ الطائفة الثانية: يسمونهم اللفظية، وهم الذين قالوا: لفظي بالقرآن مخلوق، تلاعب بالألفاظ، يقولون: (لفظي بالقرآن مخلوق)، أنا لا أقول القرآن مخلوق، ولكن لفظي بالقرآن مخلوق.

قال الإمام أحمد - رَحِمَهُ اللهُ -: (مَنْ قَالَ: الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِي، وَمَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ مَبْتَدِعٌ)، لماذا؟ لأن كلمة (لفظي) كلمة مجملة تحتمل معنيين:

✽ أحدهما: باطل.

✽ والثاني: صحيح.

لما هو المعنى الصحيح؟

أنَّ صوتَهُ ولسانهُ وحركتهُ مخلوقةٌ أكيد، صوتي هذا الصادر الآن مخلوق، أحد يقول خلاف ذلك؟ لا، لأنَّ إذا قلت خلاف ذلك تجعلني إله غير مخلوق، أنا مخلوق، وأفعالي مخلوقة، ويحتمل معنى باطلاً وهو الملفوظ، فإنَّ اللفظ يُطلق على عملية التلفُّظ ويطلق على الملفوظ نفسه.

فلما تقول: (لفظي بالقرآن مخلوق)، قد أتيت بكلامٍ مجملٍ يحتمل حقاً، ويحتمل باطلاً، وفي العقيدة لا يُحتمل الكلام المجمل، لا بد من الوضوح.

✳ فلذلك كلمة (لفظي) تحمل أن تقصد بها ملفوظي فتقع في القول بخلق القرآن، ويحتمل أن تقصد بها تلفظي، فلماذا تأتي بكلمة مجملة؟! ولهذا شاهد في القرآن، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤]، نهى الله عز وجل عن استعمال كلمة "راعنا"، آية كاملة في القرآن تحذرنا من الكلام في شيء وترشدنا إلى بديله، لماذا؟ لأن كلمة "راعنا" أصبحت تحتمل معنيين:

✳ معنى باطلاً، وهو الذي كان يقصده اليهود في قولهم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (راعنا).

✳ ويقصدون بها الرعونة، ويُقال: إن كلمة "راعنا" في العبرانية أي: مجنون أو تحتمل سباً وشتماً للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فكانوا لحماقتهم ولدنائهم يسبون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طرف خفي.

✳ فإذا قيل لهم: لا تقولوا هذا الكلام، قالوا: لا، "راعنا" أي: من المراعاة، فيتلاعبون، يسبون فإذا ما نوقشوا قالوا: لم نقصد، فقطعاً لهذا الأمر أمروا بالإعراض عن هذه الكلمة؛ لأنها تحتمل معنيين حق وباطل، فلا تقولوا الكلمة التي تحتمل معنيين، وآتوا بكلمة لا تحتمل إلا الحق.

مثل ذلك "اللفظية" لا تقل: لفظي بالقرآن مخلوق، لماذا؟ لأن هذه الكلمة تحتمل معنيين:

✳ معنى حق، وهو تلفظ، التلفظ مخلوق قطعاً، حركاتي ولساني وصوتي مخلوق.

✳ وتحتمل معنى آخر: وهو ملفوظي، أي: القرآن.

✳ لذلك لا تقل: القرآن خلق قرأته، فإن كلام الله باللفظ يوضح، والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

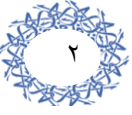


جَائِزَةٌ

ابن أبي جابر

٣

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ / مُطْبَعَةُ الْجَامِعِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَتَمَّانِ الْأَكْمَلَانِ عَلَى الْمُبْعُوثِ رَحْمَةً
لِلْعَالَمِينَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

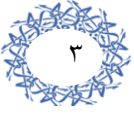
اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَازْفَعْنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَزِدْنَا عِلْمًا وَاغْفِرْ لَنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.
أَمَّا بَعْدُ ...

✧ في الدرس الماضي تناولنا كلام الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وأنه صفة من صفاته، وتناولنا كذلك عقيدة أهل
السنة والجماعة في القرآن، وأنه غير مخلوق تكلم به **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** حقيقةً، ورُدَّ على العقائد الفاسدة أن
القرآن مخلوق، وكذلك تكلمنا عن الوقف في القرآن، أي: الَّذِي يتوقف فيقول: لا أقول مخلوق ولا
غير مخلوق، قلنا هذا:

وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لِحْمٍ وَأَسْجَحُوا
وَلَا تُقَلِّ الْقُرْآنُ خَلْقًا قِرَاءَةً فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

أي: أن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله حقيقةً، تكلم به بحرفٍ وصوت -كما يُبين-
، واليوم -إن شاء الله- سنأخذُ تنمة كلام الناظم -رَحِمَهُ اللهُ-، وذلك في "مسألة رؤية الله عزَّ وجلَّ يوم
القيامة"، وكذلك النزول "نزول الله عزَّ وجلَّ إلى السماء الدنيا".

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلي اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين.



يقول الإمام -رَحِمَهُ اللهُ- ونفعنا الله بعلومه في الدارين آمين:-

وَقُلْ يَتَجَلَّى اللهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً كَمَا الْبَدْرُ لَا يُخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ
وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ تَعَالَى الْمَسْبُوحُ
وَقَدْ يُنَكِّرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا بِمُضَدِّاقٍ مَا قُنْنَا حَدِيثٌ مُصْرَحُ
رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ فَقُلْ مِثْلَمَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

قال -رَحِمَهُ اللهُ-:

وَقُلْ يَتَجَلَّى اللهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً كَمَا الْبَدْرُ لَا يُخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

✦ يشير -رَحِمَهُ اللهُ- إلى مسألة مهمة من مسائل العقيدة، وهي أننا نؤمن أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُرَى يوم القيامة، يراه المؤمنون بأبصارهم يوم القيامة، فيتجلى الله عَزَّوَجَلَّ للخلق جهرةً، (كَمَا الْبَدْرُ لَا يُخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ)، أي: نرى الله عَزَّوَجَلَّ كما نرى القمر حال كونه بدرًا في السماء بكل وضوح.

✦ ودل على ذلك أدلة كثيرة، الذي يدل على رؤية الله عَزَّوَجَلَّ أدلة كثيرة جدًا:

✦ منها: ما في القرآن الكريم، وذلك في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وجه الدلالة من هذه الآية على رؤية الله: سؤال موسى -عليه السلام- ذلك، فسؤال موسى -عليه السلام- أن يرى ربه دليل على أن ذلك ليس بمستحيل، هذا الدليل الأول.



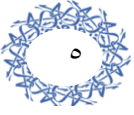
❁ **الدليل الثاني:** قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾** [يونس: ٢٦]، وقد فسرها النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هذه الزيادة كما في صحيح مسلم من حديث صهيب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ قَالَ: إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا، وَيُرِيدُ أَنْ يَنْجِزَكُمْوهُ، فَيَقُولُونَ: مَا هُوَ؟! أَلَمْ يَثْقُلْ مَوَازِينَنَا وَيَبْيِضْ وَجُوهَنَا وَيَدْخُلْنَا الْجَنَّةَ؟ وَيَجْرُنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَمَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ، وَهِيَ الزِّيَادَةُ».

❁ **إِذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَّرَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾؛** بَأَنَّ الزِّيَادَةَ هِيَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ، كَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ صَهَيْبٍ.

❁ **الدليل الثالث:** قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾** [المطففين: ١٤-١٥]، فالخطاب هنا عن الكفار أَنَّ الكافر محجوبٌ عن ربه **عَزَّجَلَّ**، وقد استدلل الإمام الشافعي - رَحِمَهُ اللَّهُ - بهذه الآية على أَنَّ المؤمن ينظرُ إلى ربه **عَزَّجَلَّ**، وغيره من الأئمة.

❁ **قال الشافعي - رَحِمَهُ اللَّهُ -:** "جاءت رقعة إلى الإمام الشافعي، أي: ورقة فيها سؤال، فيها: ما تقول في قول الله **عَزَّجَلَّ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾**؟ فقال الشافعي: لما انحجب عن هؤلاء في السخط، كان في هذا دليلٌ على أَنَّ أولياءه يرونه في الرضا"، قال الربيع: "قلت: يا أبا عبد الله، وبه تقول؟ قال: نعم، وبه أدين الله، لو لم يوقن محمد بن إدريس أَنَّهُ يرى الله، أو أَنَّهُ يُرَى الله لما عبد الله **عَزَّجَلَّ**".

❁ **كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**، فيه دليل على أَنَّ غيرهم ليسوا بمحجوبين؛ لأنه لو كان الجميع محجوب لما كان في الآية ما يميز الكافر أَنَّهُ لا يرى الله، إذا كان الجميع يرى الله، لماذا يقول الكافر محجوب عن الله؟



✽ الدليل الرابع من القرآن: قول الله عزَّجَلَّ: ﴿هُمَّ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

☞ قال الإمام أنس بن مالك -الصحابي الجليل- والإمام علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-:
"المزيد هنا النظرُ إلى وجه الله".

☞ إِذَا فَسَّرَ اثْنَانِ مِنَ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وَهُمَا أَنَسٌ وَعَلِيٌّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- الزيادة هنا بالنظر
إلى وجهه.

✽ الدليل الخامس من القرآن الكريم: قول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا
نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾: من النضارة، وهي الإشراق والنور، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾: من النظرِ إلى وجه
الله عزَّجَلَّ.

☞ إِذَا عَدَدْنَا خَمْسَ أَدْلَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ.

★ وَمِنَ السُّنَّةِ الْأَدْلَةُ كَثِيرَةٌ، بَلْ مَتَوَاتِرَةٌ، قَدْ تَوَاتَرَتْ الْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ
يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِذَلِكَ لَمَّا قِيلَ:

مَّا تَوَاتَرَ حَدِيثٌ مِّنْ كَذْبٍ وَمَنْ بَنَىٰ لِلَّهِ بَيْتًا وَاحْتَسَبَ
شَفَاعَةً وَرُؤْيَةً وَالْحَوْضُ وَمَسَحَ خَفِينٌ وَهَدَىٰ بَعْضُ

فذكر من الأحاديث المتواترة أحاديث الرؤية.



قال:

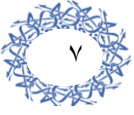
وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً كَمَا الْبَدْرُ لَا يُخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ
وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَيْسَ لَهُ مِثْلٌ تَعَالَى الْمَسْبُوحُ

لما كان قد يظنُّ بعض الناسِ أننا إذا قلنا بأنَّ الله عَزَّجَلَّ يُرَى، قد يظنُّ بعض الناس أنَّ هذا يعني أنَّ الله يشبه المخلوقين، وهذا الَّذي أورد المبتدعة والجهمية فيما أوقعهم فيه، أنهم افترضوا شيئاً وبنوا على هذا الافتراض معتقدهم، فهم يفترضون أننا إذا قلنا إنَّ الله عَزَّجَلَّ يُرَى، إذاً الله جسم، وأنَّ الله مثل المخلوقين، وأنَّ الله شابه المخلوقين، وافترضوا أشياء، ثم قالوا: إذا لا يُرى الله.

فنحن نقول: لا حاجة لنا بمعتقدكم؛ لأنكم بنيتم هذا المعتقد على أمور لا أساس لها؛ لأننا نقول كما قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ هذا ردُّ على المشبهة الَّذي يشبهون الله عَزَّجَلَّ بخلقه، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ردُّ على المعطلة الَّذين يعطلون صفات الله عَزَّجَلَّ.

فالناظم ذكر هذا البيت حتى يرفع التوهم أنَّ إثبات الرؤية، أنَّ الله عَزَّجَلَّ يُرَى يوم القيامة لا يعني القول بالتشبيه، فالله عَزَّجَلَّ ليس بمولودٍ، وليس بوالدٍ، كما قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، (وَلَيْسَ لَهُ مِثْلٌ)؛ لأنَّ الَّذي يلد ويولد مثل؛ لأنَّ لا يلدك إلا مثلك، ولا تلد إلا مثلك.

أمَّا الله عَزَّجَلَّ فليس بمولودٍ، وليس بوالدٍ، وليس له مثلٌ، تعالى سبحانه وجل وترفع عن مثل ذلك. (تَعَالَى الْمَسْبُوحُ)، الْمَسْبُوحُ: الَّذي يسبحُ به وبحمده، أي: يُنزهه، فالتسبيح بمعنى التنزيه، فنحن لما نقول: سبحانه الله! أي: أنزهه الله عن كل ما لا يليق به - جَلَّ وَعَلَا -.



ثم قال:

وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا بِمُصَدَّقٍ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحٌ

قد ينكرُ الجهمية هذا، أي: هذا المعتقد ينكر الجهمية هذا المعتقد أن الله عزَّجَلَّ يَرى يوم القيامة، وهؤلاء لما اصطدموا بالنصوص الشرعية التي فيها الرؤية، يحاولون:

★ إِمَّا أَنْ يَحْرِفُوهَا.

★ أَوْ يَلُوهَا أَعْنَاقَهَا.

فمثلاً: يأتون إلى قول الله عزَّجَلَّ: الله عزَّجَلَّ لا يَرى يوم القيامة؛ لأنَّ الله عزَّجَلَّ قال: ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فقالوا: (لن) تفيدهُ النفي المؤبد، إذاً الله عزَّجَلَّ لا يَرى، وهؤلاء هم يحاولون أن يصدموها الآيات بعضها البعض.

﴿ماذا عن قول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾؟

فالجواب: نقول هنا: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾، ليس للنفي المؤبد، ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ أي: في الدنيا، وليس في الآخرة دليل أن الله عزَّجَلَّ لا يَرى يوم القيامة.

يقول: (وَعِنْدَنَا) أي: معاشر أهل السنة والجماعة، (بِمُصَدَّقٍ مَا قُلْنَا) المصدق: هو دليلُ الصدق، مصدقُ الشيء أي: دليلُ الصدق، لدينا مصدق ما نقول بمصدق ما قلنا، أي: بهذه العقيدة، (حَدِيثٌ مُصَرِّحٌ)، صريح.

(رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.)

أي: هذا الحديث رواه الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، بنص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحديث الَّذِي يشير إليه الشيخ: هو ما رواه الإمام البخاري، ورواه الإمام مسلم في صحيحه، عن جرير بن عبد الله البجلي -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- قال: "كنا جلوساً عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر"، كان القمرُ بدرًا، فنظر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى القمر ليلة البدر، ثم قال: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ» أو «لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَافْعَلُوا».

فهذا الحديث مثلما قلت رواه البخاري ورواه مسلم، وغيرهما من أهل الحديث.

هنا في قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ»، سؤال: هل في هذا تشبيه؟ تشبيه الله بالقمر أم لا؟ ولماذا؟ هناك مَنْ يثير شبهة أن هذا الحديث فيه تشبيه! «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ» كيف؟ الله كالقمر!

الجواب: أن ليس في الحديث تشبيه، الحديث فيه تشبيهٌ للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي، ما قال: ربكم كالقمر، قال: «سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ»، فلا علاقة بهذا الحديث بتشبيه الله عَزَّ وَجَلَّ بخلقه، وإنما تشبيه الرؤية بالرؤية، لا المرئي بالمرئي، «كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ» أو «لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ»، فَرِيءَ هَذَا الْحَدِيثُ بِطَرِيقَتَيْنِ أَوْ رُوِيَ بِطَرِيقَتَيْنِ:

✽ الطريقة الأولى: بضم التاء وتسهيل الميم «لَا تُضَامُونَ» أي: مأخوذٌ مشتقٌ من الضيم، والضيم: هو المشقة، أي: لا تصابون بالمشقة في هذه الرؤية، أي: ترونه بسهولة.



✽ الطريقة الثانية: قرئ «لا تضامون» بفتح التاء وتشديد الميم، وأصلها أي: لا تضامون، أي: لا تتزاحمون من الضم.

فالأولى من الضيم والثانية من الضم، والمعنى واحد أي: لا تحتاجون إلى تراحم، ولا تصيبكم مشقة عند رؤيته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يوم القيامة.

◀ ثم أرشد النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلى ما يحقق للإنسان هذه المنزلة العظيمة رؤية الله وهي المحافظة على الصلوات، ولا سيما صلاتي الفجر وصلاة العصر.

رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ قُلُّ مِثْلًا قَدْ قَالَ فِي ذَلِكَ تَنْجِحُ

هذه عقيدة السلف باختصار، قل مثلما قد قال، النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أخبرنا عن الله **عَزَّوَجَلَّ** وهو أعلم به منّا، وهو طريقنا إلى الله، وطريقنا إلى معرفة الله، لماذا منحرف عن هذا المسار؟! لماذا نعمل العقول حيث لا مجال لها أن تعمل؟! فالله **عَزَّوَجَلَّ** بالنسبة إلينا غيب.

(**قُلُّ مِثْلًا قَدْ قَالَ فِي ذَلِكَ تَنْجِحُ**)، ينزل ربنا؟ ينزل ربنا، يُرى ربنا؟ يُرى ربنا، فقط، انتهى، فندين بما قال به النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فنقول كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**، وكما قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في سنته لا حاجة لنا إلى غير ذلك، لا حاجة لنا أن نتكلف ما لم نؤمر به.

✽ هنا مسألة: اتفق أهل السنة والجماعة على أن المؤمنين يرون ربهم عز وجل يوم القيامة، ولكن هل يرى الكفار الله يوم القيامة؟ أو المنافقون هل يرون الله يوم القيامة أم لا؟ في بعض الأحاديث تشير إلى أنهم يرونه فما القول في ذلك؟

اختلف أهل السنة وهذه من المسائل التي فيها خلاف من مسائل العقيدة، مسائل العقيدة -يا إخواني- أغلبها أصول لا خلاف فيها، ولكن في مسائل يسيرة فيها خلاف بين أهل السنة، مثل: هل يرى الكفار الله يوم القيامة أم لا؟ مثل: هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه في الإسراء والمعراج أم لا؟ هذه يسوغ فيها الخلاف وإن كانت من مسائل المعتقد.

✽ فاختلّفوا على ثلاثة أقوال:

✽ القول الأول من أقوال أهل السنة: أن الكفار لا يرى ربه يوم القيامة أبدًا، لا يراه مطلقًا، واستدلوا بقول الله عز وجل: ﴿كَأَلَا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وهذا القول اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، وقال: "هو قول أكثر المتأخرين، ويدل عليه كلام المتقدمين"، أنهم لا يرونه مطلقًا، الكافر محجوب عن ربه لا يراه، وأن الرؤية مقتصرّة على المؤمنين.

✽ القول الثاني: أن الرؤية تكون لمن يدعي الإسلام من الكفار فقط، وهم المنافقون، المنافق الذي يدعي الإسلام سيحشر مع المسلمين، ويرى ربه **عَزَّوَجَلَّ** دون الكافر الصريح، واختار ذلك الإمام ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ- كما في كتابه كتاب [الروح]، واختاره السفاريني في شرحه على [الحائية] وغيرهما؛ وذلك لأحاديث:

★ منها: ما روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- قال: «قال الناس: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تُضَارُونَ في الشمسِ ليس دُونَهَا سَحَابٌ؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تُضَارُونَ في القمرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ليس دُونَهُ سَحَابٌ؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فَإِنَّكُمْ تَرُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ»، ثم قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ، فيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيَتِ الطَّوَاغِيَتِ، وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوها، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا آتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ».

★ فهذا الحديث فيه دليل: على أن المنافق قد يرى ربه، وجاء أيضًا في حديث أبي موسى الأشعري -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- عن الطبراني قال: قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يُحَشِّرُ النَّاسَ فيُنَادِي مُنَادٍ أَلَيْسَ عَدْلًا مِنِّي أَنْ أُوَيِّ كُلِّ قَوْمٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُمْ آلِهَتُهُمْ فَيَتَّبِعُونَهَا حَتَّى لَا يَبْقَى أَحَدٌ غَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فيُقَالُ لَهُمْ: مَا لَكُمْ؟ قالوا: ما نرى إلهنا الذي كنا نعبدُ، فيتجلَّى لهم الربُّ **عَزَّوَجَلَّ**، وغير ذلك من النصوص والأحاديث الكثيرة التي فيها أن المنافقين قد يرون ربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

✽ وهناك قولٌ ثالث لأهل السنة: أن الجميع يرى الله **عَزَّوَجَلَّ** حتى الكافر الصريح، ولكن رؤية المؤمن لربه رؤية نعيم، أمَّا رؤية الكافر فتكون عذابًا وشقاءً عليه، وهذا روي عن أبي الحسن بن سالم، وسهل بن عبد الله التستري -رَحِمَهُمُ اللهُ-.



وعلى كل حال: فقد اتفق أهل السُّنَّة والجماعة على أنَّ المؤمنين يرون ربهم، واختلفوا - كما قلنا - في الكافر على هذه الأقوال الثلاثة التي قرأتموها لكم.

وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ وَكَلْنَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ
 وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِلا كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمَتَمَدِّحُ
 إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ
 يَقُولُ أَلَا مُسْتَعْفِرٌ يَلْقَى غَافِرًا وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمنَحُ
 رَوَى ذَلِكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبُّحُوا

قال - رَحِمَهُ اللهُ -:

وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ وَكَلْنَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ
 وفي نسخة (تنضح).

يشير الشيخ هنا إلى مسألة أيضاً من مسائل عقيدة أهل السنة والجماعة: وهي إثبات اليد لله **عَزَّجَلَّ**، وعقيدة أهل السنة والجماعة في صفات الله **عَزَّجَلَّ** أنهم يثبتون لله **عَزَّجَلَّ** من الصفات ما أثبتته لنفسه في كتابة، أو أثبتته له رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في سنته، على الوجه اللائق بالله **عَزَّجَلَّ**؛ بلا تكييف ولا تشبيه، ولا تأويل ولا تعطيل.

✳ **فلا يكييفونها فيقولون**: كيفية الصفة كذا وكذا وكذا، **ولا يؤولونها أي**: يصرفونها عن ظاهرها، لكن - كما سيأتي بيانه إن شاء الله -، ولا يعطلونها فيقولون، **والتعطيل أنواع**:
 ✳ **هناك تعطيل للنص**، فيقول: لا، الحديث هذا ضعيف، أو لا يؤخذ به.

✳ **وهناك تعطيل للمعنى**، كما قال المعتزلة: ثبت أن الله سميع ولكن لا يسمع، بصير ولكن لا يبصر، فعطلوا المعنى، وهذا كله ضلالة.

أما التشبيه: فهو المناقض لذلك، بأن يقولوا: يسمع كسمعنا، أو يبصر كبصرنا، ونحو ذلك، وهذا كله مخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة.

✽ فمن الصفات: صفة اليد لله عزَّجَلَّ، وقد جاءت في كتاب الله عزَّجَلَّ في آيات كثيرة:

✽ منها: قول الله عزَّجَلَّ: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

✽ ومنها: قوله عزَّجَلَّ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

✽ ومنها: قوله سبحانه: ﴿بِمَا عَمِلْتُمْ أَيْدِينَا﴾ [يس: ٧١].

✽ ومنها: قوله عزَّجَلَّ: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

✽ ومنها: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، لما قال لإبليس.

كل هذه الآيات تدل على إثبات صفة اليد لله عزَّجَلَّ، وقد حاول المؤولة أن يؤولوا هذه الأحاديث، مثل الأشاعرة، الأشاعرة يأتون إلى هذه الآيات -على سبيل المثال- فيؤولونها، فيقولون: اليد هنا بمعنى النعمة، أو بمعنى القدرة، فكيف يُرد على مثل ذلك؟ أو كيف يُجاب؟

الجواب:

✽ أولاً: أن الله عزَّجَلَّ ليس بعاجزٍ أن يقول النعمة والقدرة **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، هذا أولاً.

✽ ثانياً: أننا نقول: لماذا لا تقولوا بظاهر الآية؟ فيقولون: ظاهرها يوهم التشبيه والتشبيه كفر.

للّٰه فنقول: أولاً: نحن نعوذ بالله عزَّجَلَّ أن تكون آيات القرآن ظواهرها كفرة، نحن نعوذ بالله عزَّجَلَّ

من ذلك، أن نقول عن آيات كتاب الله، أو أحاديث النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أن ظواهرها كفر، فنحن

ننزه كلام الله عزَّجَلَّ عن ذلك.

ثم يُقال: أنتم لم تلجؤوا إلى التأويل إلا بعد مروركم بمرحلة التشبيه، فلم يؤول مؤول إلا بعد أن شبه، أمّا الذي لا يرد عنده التشبيه أصلاً لا يحتاج إلى التأويل، وهذا الذي عليه أهل السُّنة، ما يحتاج إلى تشبيه، ما نحتاج إلى تأويل، فالتأويل هو مخرج لإشكال، فالذي ليس عندهم هذا الإشكال لا يحتاج إلى هذا المخرج.

ثم يُقال: إنكم أثبتتم صفات على حقيقتها، فهم يقولون: إن الصفات الذاتية؛ **لأنَّ صفات الله عزَّوجلَّ أنواع:**

★ هناك الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله **عزَّوجلَّ**، مثل: الحياة والسمع والبصر، والقدرة والكلام والإرادة.

★ والصفات الخبرية هي التي يقولون عنها هي بالنسبة لنا أجزاء وأبعاض، مثل: اليد والأصبع والقدم ونحو ذلك.

هم في الصفات الذاتية يثبتونها على حقيقتها، على الوجه اللائق بالله **عزَّوجلَّ**، ونحن نتفق معهم في ذلك، ولكن نسأل: ما الفرق بين الإرادة وبين النزول مثلاً؟ **لأنهم ينكرون نزول الله عزَّوجلَّ صفة النزول**، وينكرون كذلك اليمين، ويؤولونها إلى صفة أخرى، هذه الصفة الأخرى لماذا لم تفترضوا فيها التشبيه؟ هم يقولون: لا، الله ليس كمثله شيء، ولا نفترض التشبيه، ويقولون أشياء كثيرة، نقول: هذه الأشياء الكثيرة خذوها وطبقوها على كل الصفات.

✽ أمّا بخصوص هذه الصفة وهي صفة اليد لله **عَزَّجَلَّ**: فهناك ردود أخرى أيضًا:

✽ منها: أن الله **عَزَّجَلَّ** قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾، فثنى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** اليد، فالذي يقول إن اليد بمعنى النعمة، كيف يفعل بالثنوية؟ هل نعمة الله **عَزَّجَلَّ** تتين فقط؟ وكيف خلق آدم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بنعمتين؟
 ✽ الرد الأول: فالنعمة إمّا أن تقول: اسم جنس تشمل كل النعم، أو تجمعها فتقول: النعم، أمّا ثنيتها فلا وجه لها في اللغة، هذا رد، لذلك يقول الإمام البغوي -رَحِمَهُ اللهُ- في هذه الجزئية: "في تحقيق الله الثنوية في اليد دليلٌ على أنها ليست بمعنى القدرة، ولا القوة، ولا النعمة، وأنها صفتان من صفات ذاته"؛ **لأنّ إذا قلت القدرة، تقول: كيف تقول قدرتين؟ ﴿لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾** أي: بقدرتي؟! ما هي القدرة الأولى؟ وما هي القدرة الثانية؟

✽ الرد الثاني: أنه في قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾، إذا قلنا إنَّ اليد هنا بمعنى القدرة، فما الَّذِي ميّز آدم عن إبليس؟ فالله **عَزَّجَلَّ** أيضًا خلق إبليس بقدرته، وخلق الجميع بقدرته، فما الَّذِي ميّز آدم بأن يجعله بيده؟ إذا قلنا إنَّ اليد بمعنى القدرة، ما فرق آدم وما تميّزه بهذه الآية في قضية التفضيل؟ وما الَّذِي يمنع إبليس أن يقول: وأنا أيضًا خلقتني بيدك أي بقدرتك؟ فلم يكن ولم يعد لآدم -عليه السلام- تفضيل في ذلك.

✽ إذا الله **عَزَّجَلَّ** نعتقدُ أنَّهُ لهُ يدين، وكلتا يديه يمين، ولكن لا نقول: يد الله صفتها كذا وكذا وكذا، كيفيتها كذا، لا نقول، نقول: الله أعلم، ولا نقول: يدهُ كيد كذا؛ **لأنَّ الله **عَزَّجَلَّ** ليس كمثلهِ شيء؛ ولأننا لم نطلع ولم نعرف كيفية يد الله **عَزَّجَلَّ** فنقول: الله أعلم، فنكل علمها إلى الله، نؤمن أنَّ لله يدًا، ونقول: كيفيتها وصفها إلى الله **عَزَّجَلَّ**، نعتقد أنَّ لله يدًا، ونكل كيفيتها إلى رب العزة والجلالة.**

★ وعندنا أيضاً: أن كلتا يديه يمين، لذلك قال: (وَكَلَّتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفُحُ) و(تنضح) بمعنى واحد، وذلك لما رواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَلَى يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكَلَّتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا».

فقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كلتا يديه يمين»، تأكيد لما في القرآن أن الله عَزَّجَلَّ يدين، وكلتا يديه يمين فلا توصف إحداها باليمين والأخرى بالشمال، كيف؟! الله أعلم، نقول: الله أعلم، نؤمن بذلك على مراد الله عَزَّجَلَّ على الوجه اللائق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ونكل كونها وحقيقة ذلك وكيفيته إلى رب العزة والجلال.

ثم قال -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِلا كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ
وهذه صفة أخرى مما نؤمن به، وهي صفة النزول، صفة نزول الله عَزَّجَلَّ إلى السماء الدنيا.

إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ
يَقُولُ أَلَا مُسْتَعْفِرٌ يَلْقَى غَافِرًا وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمنَحُ
رَوَى ذَلِكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُوا

(وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ)، الجبار: اسمٌ من أسماء الله عَزَّجَلَّ، وله ثلاثة معانٍ:

❁ المعنى الأول: جبر الرحمة، أي: الجبار الَّذِي يجبرُ كسر الضعيف، فهذا المعنى الأول لهذا الاسم الجليل الجبار، أي: جبر الرحمة الَّذِي يجبرُ كسر الضعيف والمسكين.

✽ والمعنى الثاني: جبر القوة، الذي يقهر الجبابرة ويغلبهم، ويقهرهم، وهو هنا بمعنى الجبروت الذي لا يليق إلا بالله عزَّجَلَّ، فالجبروت صفة من صفات الله، بمعنى: القوة والقهر والغلبة، لا يجوز للإنسان أن يتصف بها، فالجبروت بالنسبة لله عزَّجَلَّ صفة كمال، وبالنسبة للإنسان صفة نقص مذمومة؛ لأنها لا تليق إلا بالله عزَّجَلَّ.

✽ النوع الثالث أو المعنى الثالث للجبار: هو جبر العلو، الله عزَّجَلَّ جبارٌ أي: عالٍ، مرتفع عن خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

كذلك يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله- في نونيته مبيِّناً هذه المعاني فقال:

وَكَذَلِكَ الْجَبَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ وَالْجَبْرُ فِي أَوْصَافِهِ قِسْمَانِ
 جَبْرُ الضَّعِيفِ وَكُلُّ عَبْدٍ قَدْ غَدَا ذَا كَسْرَةٍ فَالْجَبْرُ مِنْهُ دَانٍ
 وَالثَّانِي جَبْرُ الْقَهْرِ بِالْعِزِّ الَّذِي لَا يَنْبَغِي لِسِوَاهُ مِنْ إِنْسَانٍ
 وَهُوَ مُسَمَّى ثَالِثٌ وَهُوَ الْعُلُوُّ فَلَيْسَ يَدْنُو مِنْهُ مِنْ إِنْسَانٍ

لله إذا الجبار اسم من أسماء الله، أي: جبر العلو، وجبر القوة، وجبر الرحمة.

✽ ينزل في كل ليلة إلى السماء الدنيا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بلا كيف، ما معنى بلا كيف؟

✽ قد يقول قائل: كيف ينزل؟

نقول: ينزل كما شاء، ولا ندري كيف ينزل، الله أعلم كيف ينزل، لكننا نؤمن أنه ينزل؛ لأنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرنا بذلك، وبدأ المصنف المنظومة بهذا:

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الْهُدَى وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ
 وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْيحُ

فنحن نتمسك ونقول: يا رب يوم القيامة نحن آمننا بذلك؛ لأنَّ رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرنا بذلك.

وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِلا كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ

(جَلَّ) تعالى واتصف بصفات الجلالة، (الوَاحِدُ) الَّذِي لا شريك له، ولا ندَّ، ولا شبيهه، (الْمُتَمَدِّحُ)، الموصوف بصفات المدح، (جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ) أي: لا يتسرب إلى ذهنك أن هذا النزول يشبه نزول المخلوقين، فينزل من كذا إلى كذا، لا، لا يتسرب إلى ذهنك ذلك.

✽ لذلك اجتمع الإمام إسحاق بن راهويه -رَحِمَهُ اللهُ- مع بعض المبتدعة في مجلس الإمام أو الأمير عبد الله بن طاهر، كان أمير خراسان في زمانه، توفي سنة مئتين وثلاثين، وإسحاق بن راهويه من كبار علماء أهل السنة، فكان في مجلس هذا الأمير أحد المبتدعة، فطُرِحَتْ مسألة النزول، فقال هذا المبتدع الجهمي: "كفرت برب ينزل من سماء إلى سماء"، فقال إسحاق بن راهويه: "آمنت برب يفعل ما يشاء".

◀ انظر كيف هذا الإنسان يقول: كفرت برب ينزل من سماء إلى سماء، لاحظ التشبيه في كلامه، "من سماء إلى سماء"، فعندهم افتراض للتشبيه، العقل ملوث ببذور التشبيه؛ لذلك اضطروا إلى مخارج التعطيل والتأويل ونحوها، فكان جواب إسحاق بن راهويه -رَحِمَهُ اللهُ-: "آمنت برب يفعل ما يشاء"، وهذا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.

(إلى طَبَقِ الدُّنْيَا) أي: إلى السماء الدنيا، والطبق: اسم من أسماء السماء، ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩].

يُمْنٌ بِفَضْلِهِ فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ
يُقُولُ أَلَا مُسْتَعْفِرٌ يَلْقَى غَافِرًا وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمنَحُ

هل من مستغفر فأغفر له؟ يسأل الله عَزَّوَجَلَّ، وهل من مستمنح؟ المستمنح: طالب المنحة، المستمنح: أي: طالب المنح والعطايا والهدايا والجوائز، والرزق ما يعطيه الله عَزَّوَجَلَّ (فَيُمنَحُ).

رَوَى ذَلِكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقَبَّحُوا

الَّذِي رَوَى لَنَا صِفَةَ النُّزُولِ أَقْوَامٌ ثِقَاتٌ لَا مَقْدَحَ وَلَا مَطْعَنَ، وَلَا يَرُدُّ حَدِيثَهُمْ.

(أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقَبَّحُوا)، مَنْ الَّذِي رَوَى هَذِهِ الْأَحَادِيثَ؟ رَوَاهَا جَمْعٌ مِنَ الْأُئِمَّةِ، سَنَذَكُرُ بَعْضَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ: رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

وَقَالَ أَيْضًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَمْهَلُ حَتَّى إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ نَزَلَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَنَادِي: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ»، وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي رَوَيْتَ فِي هَذَا الْبَابِ.

وَقَدْ قَالَ بِذَلِكَ أُمَّةُ السَّلَفِ جَمِيعًا، فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي ثَبَّتَتْ عِنْدَنَا خَابَ وَقَبَّحَ مَنْ رَدَّهَا، بَعْضُهُمْ يَقُولُ: هَذِهِ أَحَادِيثُ آحَادٍ فَحَنَّا لَا نَقُولُ بِهَا، نَقُولُ: لَا، مَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَنَّا نَقُولُ بِهِ، وَنُؤْمِنُ بِهِ، وَنَعْتَقِدُهُ وَلَا نَرُدُّهُ بِهَذِهِ الْحُجَجِ الْهَزِيلَةِ.

بَقِيَ هُنَا سَوْأَلٌ: وَهُوَ بَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ: قَدْ تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ الْكُرَةَ الْأَرْضِيَّةَ لَا تَنْفَكُ فِي سَاعَتِهَا عَنْ وَقْتٍ، بِمَعْنَى فِي كُلِّ لَحْظَةٍ يَوْجَدُ ثُلُثَ لَيْلٍ آخِرٍ، فِي مَكَانٍ مَا عَلَى الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ، كَمَا أَنَّهُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ يَوْجَدُ ضَحَى وَيَوْجَدُ عَصْرٌ وَيَوْجَدُ غُرُوبٌ، فَالشمسُ تَغْرُبُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ فِي مَكَانٍ مَا، وَالشُّرُوقُ كَذَلِكَ، يَبْدَأُ الشُّرُوقُ مِنْ شَرْقِ الْأَرْضِ وَيَسْتَمِرُّ طِيلَةَ الْأَرْبَعِ وَالْعِشْرِينَ سَاعَةً.

✦ حتى إنه من العجائب أن هناك جزيرة منقسمة قسمين:

✦ قسم: داخل في الجزء الشرقي.

✦ وقسم داخل في الجزء الغربي، وبينهما ما يقارب الثلاثين كيلو متر، ولكن بينهما زمانياً أربعة وعشرين ساعة.

فيبدأ الزمان من الجزيرة هذه، وينتهي عند أختها، وواحدة منها تبع روسيا الظاهر، وواحدة تبع أمريكا أو مثل هذا.

✦ فإذا قال قائل: إذا كان ثلث الليل لا ينفك عن الأرض طيلة اليوم واللييلة، فكيف نقول: إن الله ينزل في ثلث الليل الآخر؟ كيف نجيب عن هذا السؤال؟

الجواب عن ذلك: أن نقول: إن هذه الإشكال يردُّ على المخلوق، لما أقول لك: إن المخلوق ينزل في ثلث الليل الأخير في كل ليلة، ستقول لي: كيف؟! إذا سيكون نازلاً طول الوقت، صح؟ كلامك صحيح؛ لأنه مخلوق يحيط به الزمان، ويحيط به المكان، فإذا وجد في زمانٍ لا يمكن أن يوجد في زمانٍ آخر، وإذا وجد في مكانٍ لا يمكن أن يوجد بذاته في مكانٍ آخر؛ لأنه مخلوق.

أمَّا الله عزَّ وجلَّ فقد قال لك في القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فنقول: هذا السؤال باطل من أصله؛ لأنه مبني على افتراضٍ باطل، وهو أن الله عزَّ وجلَّ إذا نزل في الثلث الأخير من الليل في مكان أنه ينبغي ألا يكون في مكانٍ آخر في الثلث الأخير من الليل.

◀ نقول: هذا مبني على فكرة التشبيه، أن الله كالمخلوق، وهذا غير وارد، الله عَزَّوَجَلَّ لا يشبه خلقه، وبالتالي لا يجوز تشبيهه بخلقهِ، فإذا قال: كيف؟ نقول: الله أعلم، نحن قلنا لك: بلا كيف، نحن قلنا لك: أن هذا بلا كيف، فأيضًا نقول في هذا السؤال: الله أعلم، نحن نؤمن بنزوله في كل ليلة على وجهٍ لا تق به بلا كيف، فلا نكيف، لماذا لا نكيف؟ لأن هذا المعتقد لا مدخل للعقل فيه، هو أمرٌ خبري لا مدخل للعقل فيه.

فإذا لم يأتنا خبرٌ فلا يجوز ولا يمكن ولا يستطيع أصلًا أن يصل العقل إلى جوابٍ عن هذا السؤال، لذلك نقول: الله أعلم، نؤمن أن الله عَزَّوَجَلَّ ينزل إلى السماء الدنيا على الوجه اللائق به، ونكل كيفية ذلك له.

☆ بقي أمرٌ أخيرٌ أختتم به هذا الدرس:

وهو أن مع الأسف الشديد كثيرًا من الجدالات العقدية في باب صفات الله عَزَّوَجَلَّ أفقدت الناس التدبر في صفات الله، مع الأسف الشديد، إذا تأملنا حديث الأعرابي الذي سمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقول: «إن الله عَزَّوَجَلَّ يضحك»، ماذا قال الأعرابي؟ قال: لم نعدم خيرًا من ربٍ يضحك.

☆ يا إخواني، والكلام للجميع، ونحن نقرأ صفات الله عَزَّوَجَلَّ علينا أن يكون همنا في المقام الأول أثر هذه الصفات علينا، فمثلاً: إذا سمعنا قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا»، يذهب المحروم إلى قضية النزول وكيف النزول، وهل يخلو منه مكان أم لا يخلو منه مكان، وهذا النزول فيه تشبيه أو ما في تشبيهه، هل قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الحديث لتدخل في هذه الجدليات! أم قالها لتعمل بمقتضاها وهو أن يجرك ربك عَزَّوَجَلَّ في هذا الوقت قائمًا، مصليًا، مستغفرًا، سائلًا، حتى تستشعر هذه المعاني، وتعمل بها.

فانحرف بعض الناس - مع الأسف-، وأصبحت آيات الصفات التي هي ينبغي ومن المفترض أن تكون من أرق ما جاء في القرآن والسنة ومن أكثرها ترقيقاً للقلوب، جعل بعض الناس الجدل فيها مما يقسي القلوب، ويدخل الناس في جدليات وفي تبديعات، وفي تكفير، وفي أشياء أصبحت هذه النصوص الشرعية العظيمة التي جاءت لإصلاحنا جعلها بعض الناس مادةً للقليل والقال، والجدليات والفلسفيات التي لا يخرج الإنسان منها إلا قاسي القلب مظلماً.

✽ لذلك هذا ما كان يفعله النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** والصحابة وسلف هذه الأمة، وهذا الذي يجب أن يُربى الناس عليه، أن تأخذ هذه الآيات والأحاديث بمعانيها التي تؤثر فيك، مثلما أثرت في الأعرابي، قال: "الله يضحك! ما عدنا خيراً من رب يضحك"، ما قالها النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، لكن انتبه الضحك هذا ليس مثل ضحكنا، ولا ترى المعنى ليس هو هذا، وترى تشبيهه، لا، هذه هي الثمرة التي وصل إليها هذا الأعرابي "ما عدنا خيراً من رب يضحك".

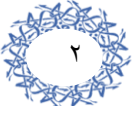
★ فهذا المعنى ينبغي أن يقدمه المسلم وهو يقرأ أو يسمع آيات الصفات وأحاديث الصفات أن تتأثر بها، أن نتدبرها، وأن تزيدنا قرباً من الله **عَزَّوَجَلَّ**، لا بعداً عنه، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، كلما علمنا بالله أكثر كلما خشيناه أكثر، فلا تدعن هذه الأقوال والجدليات حجاً بينك وبين الاستفادة الإيمانية من هذه الأسماء الربانية.

أسأل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن يمن علينا وعليكم من فضله بالعلم النافع والعمل الصالح، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وجزاكم الله خيراً.

جائزہ

ابن ابی حنیفہ

۴



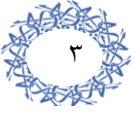
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَتْمَانِ الْأَكْمَلَانِ عَلَى الْمُبْعُوثِ رَحْمَةً
لِلْعَالَمِينَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَارْفَعْنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَزِدْنَا عِلْمًا وَاغْفِرْ لَنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

أَمَّا بَعْدُ ...

☆ فلا زلنا في هذه [المنظومة الحائية] في عقيدة أهل السنة والجماعة، للإمام/ أبي بكر بن أبي داود
السجستاني -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-، وقد وصلنا إلى مبحث من مباحث العقيدة وهو مبحث الصحابة
الكرام -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ-، وعقيدتنا في الصحابة من المسائل التي اختلف فيها أهل السنة والجماعة
عن كثير من أهل البدع بين غالٍ وجافٍ.

كذلك سيبين الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- في هذا النظم شيئاً مما نعتقد في صحابة النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



بِسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِشَيْخِنَا وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْوَالِدِينَ وَلِلْحَاضِرِينَ وَلِلْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ، اللَّهُمَّ آمِينَ.

قال الإمام ابن أبي داود -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- في [منظومته]:

وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيرَاهُ قُدَمَاءُ، ثُمَّ عُمَانُ الْأَرْجَحُ
وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيُّ حَلِيفُ الْخَيْرِ، بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ
وَأَيْتُهُمُ وَالرَّهْطُ، لَا رَيْبَ فِيهِمْ عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْخُلْدِ تَسْرِحُ
سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ وَعَامِرٌ فَهْرٌ وَالزُّبَيْرُ الْمُدَّحُ
وَقُلْ خَيْرٌ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ وَلَا تَكُ طَعَانًا تَعِيبُ وَتَجْرِحُ
فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ وَفِي الْفَتْحِ آيٌ لِلصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

❖ **أولاً:** الصحابي أو الصحابة جمع صحابي، والصحابي في اللغة: مأخوذٌ من المصاحبة، بمعنى: العلاقة الطيبة والمجالسة والتعامل في اللغة، أما الصحابي في الاصطلاح: فأفضل تعريف له هو تعريف الحافظ ابن حجر العسقلاني -رَحِمَهُ اللَّهُ- في مقدمة كتابه [الإصابة]، وهو **الصحابي:** كُلُّ مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمناً به، ومات على الإسلام ولو تخللت ردةٌ على الصحيح.

فقوله: (كُلُّ مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ولم يقل: كل مَنْ رأى كما عبّر بعض العلماء، حتى يشمل العميان، فإنَّ الأعمى كعبد الله بن أم مكتوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم ير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببصره.

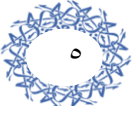


فلذلك عبّر بقوله: (لقي)؛ ليشمل مَنْ يرى وَمَنْ لا يرى ببصره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يحدد هذا اللقاء بالطول ولا بالقصر، وهذا هو الصحيح، أنه لا يشترط ليكون الصحابي صحابياً طول المصاحبة، وإنما يكفي أن يلقي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويموت على الإسلام، وأن يكون قد لقيه حال كونه مؤمناً به، فخرج بذلك مَنْ لقي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حال كفره، لا يُعتبر صحابياً.

★ وكذلك من شروط الصحابي: أن يموت على الإسلام، فمَنْ ارتد مِمَّنْ أسلم في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وماتوا على ردتهم لا يعدون في الصحابة، ويُرد بذلك على مَنْ يتهم صحابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنهم ارتدوا أو أن كثيراً منهم ارتدوا، وأن هناك حروب بعد وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سميت بحروب الردة مات فيها كثير، وأن هؤلاء كانوا معدودين في الصحابة.

◆ نقول: لا، مَنْ قال لك: أنهم كانوا معدودين في الصحابة؟! لأنَّ ضابط الصحابي لا يُسمَّى صحابياً إلا إذا مات على الإسلام، فهؤلاء لم يكونوا من الصحابة الَّذِينَ ماتوا على ردتهم ليسوا صحابة، الصحابي عندنا معشر أهل السُّنة والجماعة هو الَّذي يموت على الإسلام.

(ولو تخللت ردة)، أي: لو ارتد، ثم أسلم، وكان قد لقي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حال كونه مؤمناً، فهو -إن شاء الله- من الصحابة على خلاف، لكن الصحيح أنه إن شاء الله تعالى أنه من الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-.



✽ سأذكر قبل أن نشرع في شرح الآيات قواعد وأصول معتقد أهل السنة والجماعة في صحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اجعلها على شكل أصول حتى تُحفظ وتُضبط:

✽ الأصل الأول: أن كل صحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدول فيما ينقلون عنه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، هذا أصل عندنا، كلهم فلا يحتاج المحدث إلى أن يبحث عن عدالة الصحابي إذا كان في السند، المحدث الذي يريد أن يحقق أو يخرج أو يحكم على حديث، يكفي أن يثبت عنده أن هذا صحابي، ولا يُعرف أحد من علماء الإسلام قال صحابي ثقة، صحابي ضعيف، صحابي ... ما في أبداً، يكفي أن يقول: صحابي، إذا هذا هو الأصل الأول: أنهم -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ- عدول فيما ينقلونه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

✽ الأصل الثاني: أنهم -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- غير معصومين عن الخطأ وعن المعصية، بل وعن الكبيرة، الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- لا نعتقد فيهم العصمة، فقد يقع الواحد منهم في خطأ، أو في معصية حتى ولو كبيرة، هذا الأصل الثاني، ولا واحد من الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-.

✽ الأصل الثالث: أنهم بمجموعهم أفضل الأمة، أي: يأتون في الفضل بعد الأنبياء، ثم هم بالمجموع، ثم يأتي بعد ذلك بقية المسلمين؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، هذا هو الأصل الثالث.

✽ الأصل الرابع: أنهم يتفاوتون في الفضل، فليسوا على درجة واحدة في الفضل، فأفضلهم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالإجماع، بإجماع أهل السنة، ثم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضاً بإجماع أهل السنة، ثم عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، على قول جماهير أهل السنة، ثم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على قول جماهير أهل السنة كذلك، ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل شجرة بيعة الرضوان، ثم أهل أحد، ثم يتساوون فيما بعد، هذا الأصل الرابع، فإذا هم يتفاضلون.

✽ الأصل الخامس في عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-: الإمساكُ عما شجر بينهم وحدث بينهم من فتن، وأن نعتقد أنهم في هذه الفتن مجتهدين، وأنهم بين رجلين مجتهد مصيب له أجران، ومجتهدٌ مخطئٌ له أجر، ولا يتبع على اجتهاده.

﴿ إِذَا هَذَا الْأَصْلُ: الإمساكُ عما شجر بين الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- من فتن وأحداث نمسك عنها، ولا نخوض فيها، وأن نعتقد أن هذه الأحداث على قسمين:

✽ القسم الأول: ما هو مكذوبٌ عليهم، وهذا كثير، كثير قد كُذِبَ عليهم -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-، ودُس في هذه الأحداث من أكاذيب وأباطيل من أعداء الصحابة.

✽ والقسم الثاني: ما صحَّ عنهم -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-، وهذا الَّذِي صحَّ عنهم نعتقد أنهم فيه على قسمين:

﴿ إمَّا أن يكون من المصيبين لهم أجران.

﴿ أو المخطئين فلهم أجر، وكلهم من المجتهدين -إن شاء الله-.

وهذا الإمساك يعني: عدم بث هذا الَّذِي حدث بين الناس، وعدم نشره، وألا يُطرح إلا على نطاقٍ ضيقٍ لمصلحةٍ راجحة، فهذه المسائل لا تُطرح إلا إذا كان استدعى الأمر توضيحًا أو بيانًا، أو في حلقةٍ علميةٍ أو نحو ذلك، ولا يُنشر بين الناس وعوام الناس؛ لأنَّ في نشر ذلك إثارةً للضغائن، وفيه كذلك شحناً لقلوب الناس على أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذه هي أصول خمسة هي أصول أهل السنة والجماعة فيما يعتقدونه في صحابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الشيخ ومن خلال كلامه سنحيل إلى هذه الأصول، قال: (وَقُلْ) أي: يا أيها السُّنِّي المعتقد لمذهب أهل السُّنَّة والجماعة قُلْ بلسانك وبقلبك.

إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيرَاهُ قُدَمَا، ثُمَّ عَثْمَانُ الْأَرْجَحُ
وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيُّ حَلِيفُ الْخَيْرِ، بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ

أي: نعتقد أن أفضل الصحابة بل أفضل الناس بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل أفضل الناس بعد الأنبياء عموماً أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (وَزِيرَاهُ قُدَمَا)، وزيراهُ: أي: أبو بكر وعمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، والوزير مأخوذٌ من الوزر وهو الثقل، فهو يحمل الثقل عن الأمير أو الملك أو الرئيس، لذلك سمي وزيراً من الوزر الَّذِي هو الثقل.

فكانه حمل عنه عباءً، ووزيرا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هما أبو بكر وعمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-:

✽ أما أبو بكر: فهو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب، يلتقي مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرة بن كعب بن لؤي، أبو بكر بن أبي قحافة، فكنيته أبو بكر وليس له ولد اسمه بكر، وأبوه أبو قحافة وقد أسلم، ومات على الإسلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الصديق؛ لأنه أول من صدق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولأنه طابق قوله فعله، وفضائله جمّة، ومناقبه كثيرة لا يسع المقام لذكرها وتعدادها -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ-، وهو خليفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد بايعه الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ- بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سقيفة بني ساعدة، ونصر الله عَزَّ وَجَلَّ به الإسلام، وثبت به الدين، وذلك لأنه قد حدث في عهده من الفتن والأحداث ما لولا توفيق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتَشْيِئِهِ لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لحدث أحداث مؤسفة، ولكنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثبت، ونصر الله عَزَّ وَجَلَّ به الدين، وخذل به أعداء الدين.

* حتى مات **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة، في السنة الثالثة عشرة من الهجرة، أي: تسلم الخلافة ستين وبضعة أشهر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، ثم أوصى بالخلافة بعده للوزير الثاني عمر بن الخطاب، وهو عمر بن الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، يلتقي مع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في كعب بن لؤي، وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة، أخت أبي جهل، أبو جهل اسمه عمرو بن هشام.

النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قال: «اللهم أعز الإسلام بأحد العميرين»، عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام، وهو أبو جهل، وهو خال عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أخت أبي جهل هي أم عمر حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، من بني مخزوم، وعمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** كنيته أبو حفص وليس له ولد اسمه حفص، وإنما الحفص هو صغير الأسد.

وقد كناه بذلك النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ لأنَّ **أبي حفص هو الأسد**، الحفص هو الشبل، كما يقولون أبو الأشبال، فأبو الأشبال وأبو حفص هو الأسد، وهذا من مناقبه -**رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ**-، وأيضاً مناقبه جمة وكثيرة، قد أولفت فيها المؤلفات والمصنفات، وصحّت بها الأخبار، وطارت بها الركبان -**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وأرضاه-، تولى الخلافة بعد أبي بكر الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، واستمر أكثر من عشر سنوات، وذلك حتى وفاته **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** شهيداً في محراب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

وكانت هذه دعوته أنه كان يسأل الشهادة في بلد النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قال: «اللهم إني أسألك الشهادة في بلد نبيك»، قد طعنه الخبيث أبو لؤلؤة المجوسي، وكان قيناً أي: حداً للمغيرة بن شعبة، وقد أعد له خنجراً مسموماً له حدان، وكنن له وفي يوم الثالث والعشرين تقريباً مرجع أبي بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** من الحج.



كان قد رجع من الحج في شهر ذي الحجة في آخر ذي الحجة في صلاة الفجر، تخطى هذا الخبيث أبو لؤلؤة المجوسي صفوف المصلين ومعه هذا الخنجر المسموم، فطعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طعنة شديدة، و طعن معه اثني عشر رجلاً، مات منهم ستة من الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -، واضطرب الأمر، فتقدم عبد الرحمن بن عوف وأكمل صلى بهم صلاة الفجر بقصار السور قبل الشروق.

★ ثم ما ليس عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا يوم أو يومين حتى توفي، وذلك في السنة ثلاثة وعشرين من الهجرة، في آخر ذي الحجة سنة ثلاثٍ وعشرين من الهجرة، هذا أبو لؤلؤة حاول الهرب ولكن اجتمع عليه المسلمون وكبلوه، فلما عرف أنه قد مسك طعن نفسه، فقتل، وبعض أعداء السنة يعظمونه اليوم، بعض أعداء السنة وأعداء الإسلام يعظمون هذا الخبيث، ويضعون له مزارات، أو مقامات، وهو قاتل مجوسي، هو مجوسي قاتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه -.

✱ ودُفن عمر بجوار صاحبيه، بجوار أبي بكر والنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيت أم المؤمنين عائشة - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا - وقبره معروف بجانب قبر النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقبر أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(ثم عثمان الأرحم)، في التفضيل قد أجمع أهل السنة والجماعة أن أفضل الصحابة أبو بكر، ثم عمر، لم يخالف في ذلك أحد من أهل السنة، أمّا ما بعد عمر فقد اختلف أهل السنة، هل الأفضل عثمان أم علي؟ مع اتفاقهم أن الأربعة أفضل الصحابة، فذهب الجماهير الغفيرة وفي مقدمتهم الإمام أحمد بن حنبل، والإمام الشافعي، والإمام مالك في المشهور عنه، مع جماعة كثيرة جداً من العلماء أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، فأبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعاً -.

كـ وذهب بعض الكوفيين ومن أشهرهم سفيان الثوري - رَحِمَهُ اللَّهُ - إلى تفضيل علي على عثمان، ووافقته بعض الناس، وكان هذا القول مشهوراً، لكن يكاد الإجماع ينعقد بعدهم على خلافه، ولكن كان مشهوراً في التابعين أنه كان هناك من يفضل علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❖ وهناك قول ثالث بالتوقف وعدم التفضيل، رواه الإمام ابن عبد البر هذا القول عن مالك، فمالك عنه روايتان:

★ الرواية المشهور: تفضيل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

★ ورواية أخرى: بالتوقف والإسك عن التفضيل بعد الشيخين.

◀ ومَنْ روي عنه كذلك يحيى بن معين، ويحيى القطان وغيرهم، ولكن - كما علمنا - جماهير العلماء بل تكاد تجتمع الكلمة بعد ذلك على أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وأرضاهم -، وعثمان هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، يلتقي مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جده عبد مناف، عبد مناف بن قصي بن كلاب.

★ عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان حاز فضيلة لم يحزها مخلوق على وجه الأرض، وهو أنه الوحيد الذي تزوج بنتي نبي، فقد تزوج رقية ثم ماتت عنده - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -، ثم تزوج بعد ذلك أم كلثوم - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -، وقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاتها: «لو كان عندنا ثلاثة لزوّجناكها»، لذلك لقب بذي النورين - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ -، وأيضا مناقبه جمّة كثيرة، وفضائله عظيمة.

❖ وقد حدثت في آخر عهده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فتنة، ابتلي بها المسلمون وثار عليه مَنْ ثار من بعض الخوارج ومن بعض الغوغاء، حتى اقتحموا المدينة وحاصروا بيته - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ -، وذلك في شهر ذي الحجة أيضا، وكان كثير من الصحابة في الحج، وكان الحصار في أيام الحج، يُقال في أيام التشريق، وحاصروه أياما طويلة، وذلك في سنة خمسٍ وثلاثين من الهجرة، وكان قد تولى الخلافة اثني عشر سنة، اثني عشر سنة وهو خليفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ثم بعد ذلك اقتحموا عليه الدار، وقتلوه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وهو صائم وقد نشر المصحف، وتطاير دمه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** على المصحف الشريف، حتى يُقال إنه وقع دمه على قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَسَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** [البقرة: ١٣٧]، فمات شهيداً **رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ**.

قال: (ثمَّ عثمانُ الأزجِحُ)، وقوله: (الأزجِحُ)، كأنه يشير إلى الخلاف في التفضيل، وأنَّ الراجح عند أهل السنَّة والجماعة تفضيل عثمان.

قال:

وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيُّ حَلِيفُ الْخَيْرِ، بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عم النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ومن أحب الناس إليه، بل هو أخوه في المؤاخاة، ويروى أنه أول من أسلم على الإطلاق، وقيل إنَّ أول من أسلم هو أبو بكر، ويقول الإمام أبو حنيفة -رحمه الله-: (أسلمُ الأقوال أن يُقال أول من أسلم من الرجال أبو بكر، ومن النساء خديجة، ومن الصبيان علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعاً-).

☆ وعلي أبو الحسنين مناقبه أيضًا عظيمة وكثيرة، وفضائله جمة قد صارت بها الرُكبان، وهو إمام من أئمة المسلمين، رابع الخلفاء الراشدين -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وأرضاه-، وعاش **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بعد مقتل أخيه عثمان فتناً عظيمة، شاء الله **عَزَّجَلَّ** أن يعيشها **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، فإن بعد مقتل عثمان حدثت فتنٌ كثيرة، ودبَّ الخلاف بين الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ-، ونال علياً -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- من الأذى الشيء الكبير.

ولكن باختصار ما يعتقدُه أهل السُنَّة والجماعة أنَّ عليًّا في زمنه هو الأحقُّ بالخلافة، وهو صاحبُ الحقِّ في تلك الفتن، وأنَّ الحقَّ معه مع استحضارٍ مع قررناه قبل قليل، أنَّ الَّذي حدث من فتنٍ بين الصحابة هم فيها مجتهدون بين مصيبٍ له أجران ومخطئٍ له أجر، ونحن نعتقد أنَّ المصيب هو **علي رضي الله عنه**،
لأدلة كثيرة:

❖ منها: أنَّ النبيَّ **صلى الله عليه وسلم** قد أخبر أنَّ عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية، فإنه صحَّ عنه -عليه الصلاة والسلام- أنه رأى عمار مرةً فقال: «ويح عمار، تقتله الفئة الباغية»، وحصل أن قُتل عمار **رضي الله عنه** في صف علي **رضي الله عنه**، فلما قيل لمعاوية **رضي الله عنه** هذا الكلام، وأنه تقتله الفئة الباغية، قال: (قتله من دفعه للقتال).

❖ فقال علي **رضي الله عنه** لما بلغه كلام معاوية **رضي الله عنه**: (أرى أنَّ النبيَّ **صلى الله عليه وسلم** قتل حمزة حين دفعه في القتال؟)، وكما قلت هذه الأحداث التي حدثت لا تُساق إلا بسياق محدود في سياقٍ علمي، في الدرس العلمي، وأنا نعتذر لهم، وأنهم ليسوا بمعصومين عن الخطأ ولكن حدث ما حدث بينهم -رضي الله تعالى عنهم-.

★ وما أحسن ما روي عن عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- أنه كان في مجلسه قال أحد جلسائه أو أثار أحد جلسائه ما حدث من فتن بين الصحابة -رضي الله عنهم-، فنهاهم عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- وقال: «تلك أمة قد خلت لها ما كسبت، ولكم ما كسبتم، فلا تسألون عما كانوا يعملون»، وقال: «تلك فتنة عصم الله منها سيوفنا، فلنعصم منها ألسنتنا» -رضي الله عنهم جميعاً-، وقد قُتل علي بن أبي طالب **رضي الله عنه** شهيداً في شهر رمضان، سنة أربعين من الهجرة، في العراق.

كمن له الخارجي عبد الرحمن بن ملجم، والذي كان معدوداً من العباد كان عابداً، ولكن كما أخبر النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - عن الخوارج: «تَحْفَرُونَ صَلَاتِكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ، وَعِبَادَتِكُمْ إِلَى عِبَادَتِهِمْ، وَقِرَاءَتِكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، فإنهم نقموا، فهؤلاء الخوارج قالوا: هؤلاء علي ومعاوية وعمرو بن العاص يجب أن يقتلوا، فوزعوا المهام أن يقتلوا هؤلاء حتى بزعمهم أنهم إذا قتلوا هؤلاء ستسكن الفتنة ونحو ذلك، وهذا من تلبيس إبليس، كيف يقتله؟

حتى إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخبر، وأخبر علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «يا علي، أشقى الناس الأجير الذي عقر الناقة وقاتلك يا علي»، أشقى الناس عاقر الناقة كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ [الشمس: ١٢]، الذي قتل أو عقر ناقة نبي الله صالح، «وقاتلك يا علي».

وقال مرة - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - تنبأ وأخبر: «أَنْ كَيْفَ بَكَ يَا عَلِيٌّ وَقَدْ سَالَ الدَّمُ مِنْ هَذِهِ إِلَى هَذَا»، أي: سيُضْرَبُ فِي مَفْرَقِهِ حَتَّى يَسِيلَ الدَّمُ عَلَى لِحْيَتِهِ، وَفِعَالًا فِي الْيَوْمِ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ لِلْهِجْرَةِ، خَرَجَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَصَلَاةِ الْفَجْرِ، فَغَدَرَ بِهِ هَذَا الْخَبِيثُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُلْجَمٍ، وَخَرَجَ لَهُ فِي جَنَحِ الظَّلَامِ بِسَيْفٍ، وَضْرَبَهُ عَلَى مَقْدَمِ رَأْسِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم صاح علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عليكم به»، وقال لهم: «إِذَا مِتُّ فَاقْتُلُوهُ، فَإِذَا عَشْتُ فَأَنَا أَوْلَى بِهِ» أي: لا يقرب له أحد، إذا مت فاقتلوه أي: قصاص، فإذا عشت فأنا أنظر به، أنا أحق بالنظر به، فلم يلبث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا يومين فمات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيقال يروى أنهم أتوا إلى هذا الرجل وقطعوا يديه، وكان لا يفتر لسانه عن الذكر وقراءة القرآن، شوف العجب!

فقطعوا يديه وما قال شيء، قطعوا رجليه، حتى أتوا ليقطعوا لسانه صاح، فقيل: ما لك؟ قال: لا، أريد أن أموت وأنا أذكر الله! شيء عجيب! أنت قاتل خير الناس بعد الأنبياء وبعد الخلفاء، خير الناس في زمانه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ابن عم النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وزوج ابنته فاطمة، وأبو الحسين سيدي شباب أهل الجنة، وشهد له النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - في الجنة، والرجل يقول ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ! * وهذا يعطيك أن أحياناً يلبس على الإنسان، ويظن أنه على حق، وأنه مجاهد، وأنه على خير، وأنه كذا وأنه كذا، وهو في الواقع بخلاف ذلك، حتى قُتِلَ، والعجيب أن عبد الرحمن بن ملجم يعظمه طائفة من الرافضة، وهم النصيرية، هؤلاء النصيرية الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ ألوهية علي، انظر يعتقدون ألوهية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يعظمون عبد الرحمن بن ملجم! لماذا يعظمونه؟ قالوا: لأنَّ روح الإله كانت قد حلت في علي، فقام هذا الرجل وفصل اللاهوت عن الناسوت.

فصل وأعاد أو أنتزع روح الإله عن ظلمة الجسد، انظر! أي: ظلمات بعضها فوق بعض، فمات شهيداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد أخفي قبره، والقبر المزعوم اليوم لم يثبت تاريخياً أن هذا قبر علي، الَّذِي يسمونه مشهد الموجود في مدينة مشهد في العراق، لم يثبت أنه قبر علي - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ -.

وإِنَّهُمْ وَالرَّهْطُ، لَا رَيْبَ فِيهِمْ عَلَى نُجْبِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْخُلْدِ تَسْرُحُ سَعِيدٌ

أي: (وإِنَّهُمْ) هؤلاء الأربعة، (وَالرَّهْطُ) أي: الَّذِي سيأتي ذكرهم، الرهط: هم المجموعة بين الثلاثة والتسعة، يسمون رهط، (لَا رَيْبَ فِيهِمْ)، لا شك عندنا معشر أهل السُّنَّةِ والجماعة أنهم من أهل الجنة. (عَلَى نُجْبِ)، النُجْب: جمع نجبية وهي الدابة القوية الجيدة، تُطلق الدابة على الناقة النجبية، الجيدة، وقد جاء في بعض الأحاديث أن هناك نجائب في الجنة، أي: ركائب يركبها أهل الجنة يتزاورون بها.

يقول: (عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ)، والفردوس أعلى الجنة، وقد أوصى النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - إذا سأل الإنسان ربه أن يسأله الفردوس الأعلى، (فِي الْخُلْدِ تَسْرُحٌ) أي: هم من أهل الجنة يسرحون بها - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -.

سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ وَعَامِرٌ فَهْرٌ وَالزُّبَيْرُ الْمُدَّحُّ

هؤلاء العشرة المبشرون بالجنة ذكر منهم الخلفاء الأربعة، ثم ذكر الستة البقية، وهم: سعيد، سعيد، هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، يلتقي مع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي نَفِيلٍ فَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ، هُوَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ بْنِ نَفِيلٍ، وَهُوَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ، فَعَمْرُ بْنُ عَمِّهِ الْعَدَوِيُّ أَبُو الْأَعْوَرِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ -، وَهُوَ مِنْ فَضْلَاءِ الصَّحَابَةِ وَمِنْ عِبَادِهِمْ، وَلَكِنَّهُ قَلِيلُ الْحَدِيثِ، أَي: حَدِيثُهُ قَلِيلٌ، مَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ.

(وَسَعْدٌ)، سعد هو سعد بن أبي وقاص، وأبوه أبو وقاص اسمه مالك، فهو سعد بن مالك بن وهيب أو أهيب بن عبد مناف بن زهرة، فهو زهري قرشي، بن زهرة بن كلاب، وزهرة بن كلاب يلتقي مع النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِي كَلَابٍ، قَصِي بْنُ كَلَابٍ وَهُوَ مِنْ بَنِي زَهْرَةَ بْنِ كَلَابٍ، مِنْ رَهْطِ أُمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُوَ مِنْ خَوَالَةِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

حتى إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «هَذَا خَالِي، فَلْيُرِنِي أَحَدٌ خَالَهُ»، يفتخر به - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وسعد بن أبي وقاص - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - أَيْضًا فَضَائِلُهُ كَثِيرَةٌ، ابْنُ عَبْدِ الْهَادِي الْحَنْبَلِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَفْرَدَ كِتَابًا فِي فَضَائِلِهِ اسْمُهُ [مَحْضُ الْإِخْلَاصِ فِي فَضَائِلِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]، قَدْ مَاتَ وَهُوَ آخِرُ الْعَشْرَةِ مَوْتًا، فَإِنَّهُ مَاتَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ.

(وابن عوف)، ابن عوف هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة، يلتقي مع سعد في زهرة، عوف هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة، من فضلاء وكبار الصحابة وتجار الصحابة -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ-، وأيضاً فضائله كثيرة، وقد مات -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- في سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة.

(وطلحة)، طلحة هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن كعب بن سعد بن تيم، فهو من بني تيم رهط أبي بكر الصديق -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-، وقد لقبه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بـ طلحة الخير، ولقبه بـ طلحة الفياض؛ لكثرة خيره وكثرة فضائله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد قُتِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مظلوماً في وقعة الجمل، في الأحداث التي حدثت بين الصحابة في سنة ستٍ وثلاثين من الهجرة، وقد حزن لموته ومقتله علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رغم أنه كان قد قُتِلَ في صف المقابل له، لكنه بكى عليه وحزن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(وعامرُ فِهْرٍ)، عامر فهر هو أبو عبيدة، عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر، يلتقي مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فهر، لذلك يُقال عامر فِهْرٍ، فهو أبعُدُ العشرة من حيث الالتقاء بنسب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فليتقي مع النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في فهر، وأيضاً فضائله كثيرة:

* من أشهرها: قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أبو عبيدة أمينُ هذه الأمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ».

وقد توفي وهو من أوائل العشرة وفاةً، فإنه قد مات رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في طاعون عمواس الشهر، في سنة ثمانٍ عشرة من الهجرة، فهو ممن مات في هذا الطاعون رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(والزبيرُ الممدحُ)، الزبير: هو الزبيرُ بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، يلتقي مع النبي -عليه الصلاة والسلام- في قصي بن كلاب فهو أسديٌّ من بني أسد، مات **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** أيضًا في الأحداث التي حدثت بين الصحابة، مات قريبًا من هنا في منطقة في جنوب البصرى، ودُفن فيها فسميت بالزبير، وهي مدينة أو منطقة الزبير الموجودة اليوم، ويُقال إنها هي البصرى القديمة، وقبره معروف، سميت المدينة به بعد ذلك -رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُ وأرضاه-، وذلك في سنة ستٍ وثلاثين من الهجرة.

هؤلاء العشرة نجزم أنهم من أهل الجنة، لما صحَّ عن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في ذلك من أحاديث كثيرة، قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وطلحة بن عبيد الله في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة»، عشرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-.

وهؤلاء العشرة من فضائل أبي بكر وهو خيرهم أن نصفهم كان هو سبب دخولهم في الإسلام، أي: هو الذي دعا عثمان بن عفان **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** وأسلم بسببه، فالذين أسلموا على يد أبي بكر من العشرة:

١- عثمان بن عفان. ٢- وسعد بن أبي وقاص. ٣- وطلحة بن عبيد الله.

٤- وعبد الرحمن بن عوف. ٥- والزبير بن العوام.

خمسة أسلموا على يد أبي بكر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، وهم من العشرة المبشرين في الجنة، ومن السابقين إلى الإسلام، وكلهم إن شاء الله في ميزان حسناته -رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُ وعنهم جميعًا-.

قال:

وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ وَلَا تَكُ طَعَانًا تَعِيبُ وَتَجْرُحُ
فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ وَفِي الْفَتْحِ آيٌ لِلصَّحَابَةِ تَمْدُحُ

قد نطق الوحي المبين بفضلهم، (وفي الفتح آيٌ للصحابه تمدح) يشير إلى قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾** [الفتح: ١٨]، وقول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾** [الفتح: ٢٩] إلى آخر الآيات الكريمة.

وجاء في فضلهم أيضا قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [التوبة: ١٠٠].

(ولا تكُ طعانا تعيبُ وتجرحُ) في الصحيحين من حديث أبي هريرة -رضيَ اللهُ تعالى عنه- أن النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»، المُد: هو مجمع الكفين، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيف هذا المد، أي: من الفضل والجود والإحسان -رضيَ اللهُ تعالى عنهم وأرضاهم-.

وقد قال عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وَزَرَءَ نَبِيَّهُ، يَقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنًا، وَمَا رَأَوْهُ سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئًا)**، رواه الإمام أحمد في مسنده، وحسنه محققو المسند وهو الشيخ شعيب ومن معه -رَحِمَهُ اللهُ-، وهذا مجمل معتقد أهل السنة والجماعة.

بقي أن نقول: أن هناك بيتان قد وردا في بعض نسخ [الحائية] نذكرهم من باب الفائدة، رواية فيها زيادة هذه المنظومة في هذا الباب تحديداً، وهو قول المصنف:

وَعَائِشُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَخَالِنَا مُعَاوِيَةَ أَكْرَمَ بِهِ ثُمَّ أَمْنَحُ
وَأَنْصَارُهُ وَالْمُهَاجِرُونَ دِيَارَهُمْ بِنَصْرَتِهِ عَنِ كِيَةِ النَّارِ زَحْزُحُوا

بيتان أشار الناظم فيهما لفضل أم المؤمنين عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، وخصّها بالفضل؛ لأنها قد برأها الله عزَّ وجلَّ في قصة الإفك؛ لأنها أكثر أمهات المؤمنين -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ- تعرضاً للطعن من قبل المبتدعة، فهم يسبوننا ويطعنونها في عرضها، وقد اتفق المسلمون أن الذي يطعن في عرض عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أنه مرتد كافر باتفاق العلماء؛ لأنَّ في الطعن في عرضها تكذيب للقرآن.

فالذي يتهم عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- بالفاحشة مرتد عن الإسلام، كافر؛ لأنه مكذب لما جاء في تبرئتها -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ النُّورِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا-.

(وَخَالِنَا مُعَاوِيَةَ)، هنا أشار إلى معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومعاوية هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس أول ملوك الإسلام، ملك بعد تنازل الحسن -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- في سنة أربعين من الهجرة، فإنَّ الخلافة آلت بعد مقتل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الحسن، واستمر بها ستة أشهر؛ حتى تم على وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثون سنة.

فإنَّ النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يَبَيِّنُ أَنَّ الخِلافةَ بعد ثلاثين، ثم حدث ما كان قد تنبأ به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو التثام المسلمين، لذلك سمي هذا العام بعام الجماعة، وذلك أن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تنازل عن الخلافة لمعاوية؛ لجمع الكلمة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جَمِيعًا-.

لذلك كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-: أهل السُّنَّة والجماعة يعتقدون أنَّ معاوية قبل تنازل الحسن لم يكن خليفة للمسلمين، كان الخليفة الشرعي هو علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثم الحسن، ولكن بعد تنازل الحسن واجتماع كلمة المسلمين على معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صار خليفةً شرعيًّا، واستمر على ذلك عشرين سنة حتى مات رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في سنة ستين من الهجرة، وبابتداء تولي معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يورخ للدولة الأموية.

فالدولة الأموية ابتدأت بحكم معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في سنة أربعين من الهجرة، واستمرت إلى سنة مئة واثنين وثلاثين هجرية، وذلك بآخر خلفائهم وهو مروان بن محمد، الَّذِي يُسَمَّى مروان الحمار، وبعده ابتدأت الدولة العباسية الَّتِي امتدت قرونًا متطاولة.

لماذا نصَّ على معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؟

نصَّ على ذلك لأنه أيضًا مما يكثر الطعن فيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولأنه يبغضه الرافضة ويسبونه ويلعنونه، فهو عندنا معشر أهل السُّنَّة والجماعة من جملة الصحابة الَّذين يُعرَف لهم الفضل، نعم هو ليس أفضل الصحابة كما عرفنا أنَّ علي أفضل منه -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، ولكن لا نجوز سبه ولا شتمه، فضلًا عن لعنه والطعن فيه.

لذلك تجد في كتب المعتقد ينصون على معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ومعاوية هو الطعنُ فيه بوابة الطعن في الصحابة، دائمًا ما تجد أنَّ بعض الناس الَّذي يقول: أنا أحترم الصحابة وكذا وكذا، ولكن يأتي وينتقد معاوية، فيدخل من هذه البوابة، فيقول معاوية كيف ورث؟ ودعا لابنه بالخلافة، وأمر الناس أن يبائعوا ابنه يزيد، ومعاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أول أمره كان معاونًا لأخيه يزيد بن أبي سفيان، أخوه -كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- صحابي أفضل من معاوية.

يقول شيخ الإسلام: يزيد بن أبي سفيان كان أميراً على الشام في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان معاوية معه، فلما مات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تولى بعده يزيد بإقرار عمر، فلما تولى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جمع له الشام؛ لأنه كان على جزء من الشام، فجمع له إمارة الشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واستمر بها، وأحبه أهل الشام، وكان أهل الشام مخلصين له أشد من إخلاص أهل العراق لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كان أهل الشام وإخلاصهم لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصرهم معه، أفضل بكثير من صبر وإخلاص أهل العراق وشيعة علي الذين يسمون شيعة علي في زمانهم لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لذلك كان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كثير الشكوى منهم، تآذى منهم جداً - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه -، ومعاوية - كما قلت - يُنص عليه وعلى المنع من الطعن فيه، والتحذير من الخوض فيه؛ لأنَّ الخوض فيه بوابة للطعن في الصحابة، والطعن في الصحابة بوابة للطعن في الدين.

كما قال أبو زرعة - رَحِمَهُ اللَّهُ -: (إذا رأيت الرجل يتنقص أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاعلموا أنه زنديق)، لماذا زنديق؟ لأنهم نقله ديننا، فإذا طعن في نقلة الدين فذلك طعن في الدين، وهذه البوابة أنا أقولها عن معرفة الطعن في معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بوابة الإلحاد، الإلحاد وهذا معروف؛ لأنَّ الأمر يبدأ بالطعن في معاوية والاستسهال استسهال هذا الطعن.

ثم يقول: معاوية ليس وحده، كذلك مجموعة من الصحابة، إذا الصحابة ليسوا عدوياً، هؤلاء الذين الصحابة ليسوا عدوياً، هم نقلوا السُّنة، السُّنة مشكوك فيها! فلذلك تجد مَنْ يقول: هناك أحاديث وضعت لأغراضٍ سياسية، وضعها فلان وفلان، الذين نقل السُّنة هم الذين نقلوا القرآن، فاستسهال ذلك دخل في الطعن في الحديث.

★ الطعن في الحديث نفس النقلة هم الذين نقلوا القرآن، إذا نطعن في القرآن، وإذا طعنوا في القرآن لم يبق شيء، فصار هناك تشكيك في مصدري الدين القرآن والسُّنة، فلم يعد هناك دين، لذلك أعرف مَنْ وصل إلى الإلحاد كان مبتدأ دخوله في هذا الطريق الطعن في معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لذلك إن نصوا عليه في كتب الاعتقاد مستحق.

وَأَنْصَارُهُ وَالْمُهَاجِرُونَ دِيَارَهُمْ بِنَصْرَتِهِ عَنِ النَّارِ زَحْزُحُوا

أي: المهاجرون والأنصار - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا -، هذا ما تيسر إيرادُهُ في هذا الباب، وفي هذا الفصل،
نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَجْمَعَنَا وَإِيَّاكُمْ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحَابَتِهِ فِي جَنَاتِ النِّعِيمِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

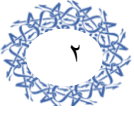
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

جَائِزَةٌ

أَيُّهَا أَبِي جَاهِلِيَّةٍ

٥

لِقَضِيَّةِ الشَّيْخِ / مُطْبَعَةُ الْجَامِعِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَتَمَّانِ الْأَكْمَلَانِ عَلَى الْمُبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَالتَّابِعِينَ لَهُ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.
اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَازْفَعْنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَزِدْنَا عِلْمًا وَاغْفِرْ لَنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

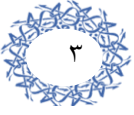
أما بعد ...

نستكمل إن شاء الله هذا النظم المبارك [نظم الحائية في عقيدة أهل السنة والجماعة] للإمام / أبي بكر
بن أبي داود السجستاني - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

وَبِالْقَدْرِ الْمَقْدُورِ أَيْقِنُ فَإِنَّهُ دِعَامَةٌ عَقْدِ الدِّينِ وَالِدِّينِ أُنْفِخُ
وَلَا تُنْكِرُنَّ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ
وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ
عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحِيًّا بِمَائِهِ كَحَبَّةِ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ
وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحٌ



قال - رَحِمَهُ اللهُ -:

وَبِالْقَدْرِ الْمَقْدُورِ أَيَقِنُ فَإِنَّهُ دِعَامَةٌ عِقْدِ الدِّينِ وَالذِّينُ أَفِيحُ

لله هذه مسألة من المسائل المهمة، بل من أركان الإيمان الستة، وهي مسألة الإيمان بالقضاء والقدر، فالإيمان بالقضاء والقدر لا يتم إسلام المسلم، ولا إيمان المؤمن إلا بالإيمان به.

وَبِالْقَدْرِ الْمَقْدُورِ أَيَقِنُ فَإِنَّهُ دِعَامَةٌ عِقْدِ الدِّينِ وَالذِّينُ أَفِيحُ

← والقدر: من أوائل المسائل التي انحرف فيها المنحرفون، وضلّ فيها الضالون، وهذه المسألة بالتحديد هي من مزالق المعتقدات منذ القدم، وانحرفت فيها طوائف، بل وجدت فيها أديان كاملة كان أصل انحرافها فكرة القضاء والقدر، وأصل ذلك: ما يُسمّى بمعضلة الشر، أو خلق الشر، كيف يخلق الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؟ الشر وكيف يقدره؟

★ لذلك ظهر أحد فلاسفة الإغريق قديماً الذي يُسمّى أبيقور، أبيقور هذا من أوائل مَنْ أثار هذه الإشكالية، فقد قرر قاعدةً أو معادلةً فاسدة معروفة، وهي أنه أمام وجود الشر في الكون، يقول: إنه يوجد شرٌّ في الكون، فنحن إذا نسبنا هذا الخلق للخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فنحن أمام معضلتين هو يدّعي: ✨ **إِمَّا أَنْ نَسَبَ خَلْقَهَا لَهُ فَيَكُونَ إلهًا شَرِيرًا.**

✨ أو ننفى عنها فيكون عاجزًا، ويحدث في خلقه وفي كونه ما لا يشاؤه.

فنفي وجود الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بهذه الشبهة الشيطانية، وعلى كل حال: أنا ناقشت هذه الإشكالية في محاضرة كاملة تجردونها في اليوتيوب بعنوان [معضلة الشر]، ناقشت هذا القول، وكيف قال به، وبطلان هذه القاعدة، وأن هذه مغالطة منطقية تنشأ عن حصر الخيارات في خيارين اثنين، وإيهام المستمع بأنه لا يوجد خيار ثالث؛ **لأنه قال: إِمَّا أَنْ يَكُونَ خَلْقَ الشَّرِّ فَيَكُونَ شَرِيرًا.**



كهن وهنا الخدعة على قلتهم، مَنْ قال لك أَنَّ الَّذِي يخلق الشر شرير؟ مَنْ قال لك ذلك؟ مَنْ الَّذِي حكم بذلك؟! بينما أهل السُّنَّة والجماعة والمسلمون الأمر عندهم مختلف، فنشأ عن هذه الفكرة الفاسدة أديان كاملة، تخيل! من أشهرها: ما يُسمَّى بالأديان الثانوية، ومن أشهرها: المجوس، وفكرتهم أنهم حتى يفروا من مشكلة الشر هذه، ويفروا من القول بأنَّ الله عزَّوجلَّ هو الَّذِي خلق الشرور، قالوا: يلهين:

✽ يوجد إله هو إله النور، هو الَّذِي خلق الخير وهو الله.

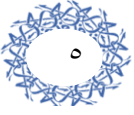
✽ ويوجد إله هو الَّذِي خلق الظلمة والشرور.

فقالوا يلهين اثنين، وهم أنواع كُثر، منهم المانوية، ومنهم تفرعات كثيرة يسمون الأديان الثانوية، نسبة إلى **ثنوية الإله**، سبب انحرافهم هو: معضلة الشر، وعدم فهم القضاء والقدر.

★ من الأديان التي حصل عندها انحراف: الهندوس، الديانة الهندوسية، الهندوس عندهم عقيدة تقول بالتناسخ، وذلك أنهم حتى يفروا من إشكالية وقوع الشر عند بعض الناس دون بعض، أي: فلان يحصل له مصيبة، فلان ما يحصل له شيء، فسروها بما يُسمَّى **بتناسخ الأرواح**، وقالوا: أن كل إنسان هو في حقيقته ناتج عن إنسانٍ قبله قد مات، ثم حلَّت روحه في الإنسان الجديد، وهذا إذا مات تطلع روحه وتحل وهكذا.

لكن أنت صار نصيبك أن الَّذِي حل روحه فيك، كان رايح فيها مثلاً، أو سيء، أو يستحق أن يحدث له هذه المصيبة، وفي الحقيقة أنك لست المعني بهذه المصيبة، وإنما روح الَّذِي حلت فيك، ويسمونها اسم معين يمكن مشتق من الكارما، الكارما: هي حسب ما أذكر أنها الطاقة الكونية أو الطاقة الموجودة في الكون.

للح على كل حال: انظر كيف انحرفوا في هذا الباب!



✧ لما نأتى للإسلام أيضًا كان من أوائل الانحرافات العقديّة ومن أوائل البدع التي ظهرت في الإسلام: بدعة الانحراف في مفهوم القدر، فقد ظهروا في عهد الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-، ويُقال إنهم تأثروا بالمجوس، وأول مَنْ ظهر من هؤلاء هم القدرية، ومن رؤوسهم معبد الجهني، وعمرو بن عبيد.

← معبد الجهني هذا ظهر في البصري، وكان يمشي ويُقال إنه حصّل طرفاً من العلم، وكان في عهد الحسن البصري، هو كان معاصراً للحسن البصري -رَحِمَهُ اللهُ-، فكان قد أظهر القول بالقدر، وهذا في أخريات الصحابة، كانوا الصحابة موجودين، فنفى أن يخلق الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** خلق أفعال العباد، وأوتي من جهة ظنه أن خلق الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لأفعال العباد، ثم محاسبتهم عليها يدخل في الظلم.

★ كيف يخلقها ويحاسبهم عليها؟! لأنه افترض أن خلق الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لأفعال العباد يساوي إجبارهم عليها، هو هكذا فهم، خلق أفعالهم أي: أجبرهم، والذي يجبر إنساناً على فعلٍ، ثم يحاسبه عليه يُعد ظالماً، والله منزّه عن الظلم، إذا لم يخلق الله **عَزَّ وَجَلَّ** أفعالهم.

★ مَنْ خلقها؟ قالوا: الأمر أنف، ما معنى أنف؟ لم يكن يعلمه الله **عَزَّ وَجَلَّ**، تعالى الله عما يقولون، ولم يخلقه، ولم يشأه، كل إنسان هو الذي خلق فعله بنفسه، وهذا لا شك أنه كما قال ابن عمر جاء ممن سمع هذه المقالة من أهل البصرة إلى المدينة، وذهبوا إلى الصحابي الجليل عبد الله بن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وقالوا له: يا أبا عبد الرحمن، إنَّ قومًا قبلنا، أي: في بلادنا في العراق، يتقفرون العلم، ما معنى يتقفرون العلم؟ أي: يتعمقون فيه، أي: أناس طلبة علم.

يقولون: إنَّ الأمر أنف، ما معنى الأمر أنف؟ أنف أي: مستأنف، أي: لم يسبق في علم الله **عَزَّ وَجَلَّ** شيء، ولم يخلقه، ولم يشأه، تعالى الله عما يقولون، فقال عبد الله بن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: «أخبروهم أنني بريء منهم، وأنهم بُرّاء مني»، يقول هذا الكلام، «أخبروهم أنني بريء منهم، وأنهم بُرّاء مني حتى يؤمنوا بالقدر».

ثم ساق حديث جبريل المشهور، قال: «حدثني عمر بن الخطاب» أبوه -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: «دخل علينا رجلٌ شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، فجلس إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع يديه على فخذي، ثم قال: يا محمد، أخبرني عن الإيمان، فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورأسله، واليوم الآخر والقدر خيره وشره»، وساق هذا الحديث ليدل على ضرورة الإيمان بالقضاء والقدر.

قال: (صدقت)، قال: فعجبنا له يسأله ويصدق، إلى آخر الحديث.

وهؤلاء القدرية الأوائل كانوا غلاة، فنفوا علم الله عَزَّوَجَلَّ، بما أنهم نفوا علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَإِنَّهُمْ في طبيعة الحال سينفون خلقه، وهؤلاء حكم الأئمة بكفرهم، صرح بتكفيرهم الإمام الشافعي والإمام أحمد، وجمع من أهل العلم، والإمام مالك كذلك.

قال الإمام القرطبي -رَحِمَهُ اللهُ-: (وقد انقرض هذا المذهب)، هؤلاء الغلاة غلاة القدرية الَّذِينَ ينفون علم الله بالأشياء قبل حدوثها انقضوا، ولكن لا زال في دائرة هذه البدعة بدعة القدرية مذهبٌ أخف من هذا المذهب، ولكن لا زالوا في دائرة البدعة وهم القدرية غير الغلاة، ويعتقدون أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِلْمُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ، ولكنه لم يخلقها، فأثبتوا العلم ونفوا الخلق.

★ فالفرق إذاً بين القدرية الغلاة: أنهم نفوا العلم والخلق، أمّا أفراخهم أو أتباعهم أو الَّذِينَ أتوا بعدهم: فإنهم طوّروا -إن صحّ التعبير- هذا المذهب، وقالوا: لا، لا، نحن نثبت العلم، ما عندنا مشكلة في العلم، ولكن ننفي الخلق، وأن الله عَزَّوَجَلَّ لم يخلق أفعال العباد، لنفس الشبهة التي عرضت لأسلافهم، وهي زعمهم أن الخلق يساوي الإجبار، وأنه إذا خلق أفعالهم أي: أجبرهم عليها.

لذلك الإمام الشافعي -رَحْمَةُ اللَّهِ- وجمع من الأئمة لهم كلمة في الرد على هؤلاء، قال: (ناظروا القدرة بالعلم، فإن أقروا به خصموا)، يقصد العلم الإلهي إذا أقروا بأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِلْمِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ** فما الفرق بين أن يكون علمها وبين أن يكون خلقها؟ فنفي الخلق مع الإقرار بالعلم تناقض، هكذا يقول الإمام أو معنى كلام الإمام الشافعي.

★ إذا هذا النوع الأول: وهم القدرية، وقد تبنى هذا المعتقد فرقة المعتزلة، القدرية هؤلاء في باب القدر تبنوا هذا المعتقد، وصار أصلاً من أصولهم الخمسة فرقة المعتزلة، فإنهم عندهم الأصول الخمسة من ضمنها أصل الإيمان بالقضاء والقدر، ويقصدون به نفي القدر.

☆ ظهر بعد ذلك فريق مبتدعاً آخر كالعادة ردة فعل للبدعة الأولى، وهكذا سبحانه الله تظهر البدع، عدم الانضباط في الرد على المبتدعة يوقع في البدع، أي: هؤلاء الفريق المقابل وهم الجبرية بالغوا في الرد على القدرية فوقعوا في مصيبة أخرى، فتجاوزوا العدل، وتجاوزوا الحق من الطرف الآخر.

أي: هؤلاء جفوا عن الحق، وهؤلاء غلوا في الحق، حتى تجاوزوه من الطرف الآخر، وهؤلاء الجهمية الجبرية يقولون: بل إن الله خلق أفعال العباد وأجبرهم عليها، فتناقضوا أو أرادوا أن يردوا على القدرية فوقعوا في إشكالية أخرى بأن الإنسان مجبور على هؤلاء.

★ ومن أول من تبنى هذا المذهب الجهم بن صفوان، بذلك الجهمية في باب القدر جبرية، وفي باب الإيمان مرجئة، لذلك قالوا: الجيميات الثلاثة هذه مجتمعة، الجهمية، والجبرية، والإرجاء، هؤلاء الطرفان من هم الوسط؟ الوسط هم أهل السنة والجماعة، والذي يقرون بأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِلْمِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ** مقادير الخلائق، وشاءها، وكتبها، وخلقها، وأن هذه المقامات الأربعة للقدر لا تعني أنه أجبر الناس عليها، هذا ما يعتقده أهل السنة والجماعة.

★ أمّا الأشعرية فقد انتهجوا منهجاً رابعاً، هو في حقيقته أقرب إلى الجبرية، فخرج أبو الحسن الأشعري، ولم يوافقهُ بعض أتباعه؛ كأبي المعالي الجويني، وأبي إسحاق الأسفراييني من الأشاعرة، خرج لنا بمذهب أو بفكرة الكسب، فكرة الكسب، ما معنى الكسب؟ الكسب أي: أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** خلق أفعال العباد بمعنى أجبرهم عليها تقريباً، ولكن قارن فعل العبد الحادثِ فعل الله القديم، فخلق الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الحدث عند اقترانها، فنفى أن يكون للحوادثِ تأثيراً في الكون.

فيقولون: السكين لما تأتي بها وتريد أن تقطع بها شيئاً، هي ما قطعت، الله خلق القطع بإرادته عندما اقترنت وجود السكين مع وجود الشيء المقطوع، والنار لم تحرق، وإنما خلق الله خاصية الإحراق عندما اجتمعت النار مع الشيء المحروق، ويستدلون بما حدث لإبراهيم -عليه السلام-، قالوا: فإنَّ الله **عَزَّجَلَّ** لم يخلق خاصية الإحراق عندما ألقي إبراهيم في النار، فنفوا تأثير الأسباب.

← **حقيقة القول هذا:** حقيقته جبر، حقيقة هذا القول أقرب للجبر، إذا الله هو الَّذِي خلق وأنا مجرد اقترن وجودي في هذا المكان، لماذا يُنسب لي؟ قال: يُنسب لك ويُسمّى كسباً، فهو خلقٌ من مخلوقات الله، وكسبٌ لك، لذلك عدّ هذا القول من العجائب غير المفهومة، والعجائب الثلاثة، وهي:

✽ طفرة النظام، أبو إسحاق النظام أحد المعتزلة قال مقولةً يسمونها الطفرة لا أحد يفهمها إلى الآن.
✽ وكسب الأشعري.

✽ وأحوال أبي الهذيل العلاف.

يقول: هذه أقوال إلى الآن ما أحد فاهمها رغم وجودها في معتقداتهم وفي كتبهم.



❦ فإذا عندنا المذاهب أربعة في باب القدر:

١ - القدرية، الَّذِينَ ينفون القدر بنوعهم الغلاة وغير الغلاة، الغلاة الَّذِينَ انقضوا وأتباعهم، الَّذِينَ تبنى مذهبهم المعتزلة، فينفون خلق الله عزَّوجلَّ لأفعال العباد، وهم الَّذِينَ ردَّ عليهم الإمام البخاري في كتابه [خلق أفعال العباد] كان ردًّا عليهم.

٢ - والجبرية؛ الَّذِينَ ناقضوا القدرية، وأثبتوا أَنَّ الله عزَّوجلَّ جبر الخلق.

٣ - والأشعرية، وهم أقرب للجبرية بمذهب الكسب هذا.

٤ - وأهل السُّنة والجماعة الَّذِينَ أثبتوا القدر، وأنَّ الله خلق أفعال العباد، وعلمها وشاءها وأرادها، وكتبها، ولكن ذلك لا يعني أنه أجبر العباد على فعلها.

بم فإن قال قائل: كيف نقول: لا كيف؟ أي: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ فَعَلَكَ وَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا الْفِعْلَ، وَالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَسَبَ لَكَ هَذَا الْفِعْلَ، وَجَعَلَهُ كَسْبًا لَكَ، وَأَنْتَ أَثَرْتَ فِيهِ حَقِيقَةً، وَأَنْتَ فَعَلْتَهُ حَقِيقَةً، وَالله خَلَقَهُ حَقِيقَةً، هَذَا مَا نَعْتَقِدُهُ، كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ نَقُولُ: اللهُ أَعْلَمُ، هَذَا أَرِيحُ قَاعِدَةَ أَوْ طَرِيقَةَ فِي فَهْمِ الْقَدْرِ.

← مرةً أخرى:

الآن كلامي هذا الَّذِي أَتَكَلَّمُ بِهِ الْآنَ يُنْسَبُ لِي حَقِيقَةً؟ نَعَمْ يُنْسَبُ لِي، وَهُوَ فَعَلِي؟ نَعَمْ فَعَلِي، وَقَوْلِي، فَعَلْتَهُ بِإِرَادَةٍ، وَسَيَكُونُ كَسْبًا لِي خَيْرًا أَوْ شَرًّا، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ خَلَقَهُ اللهُ وَعَلِمَهُ وَأَرَادَهُ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ،

فَالْحَدِثُ الْوَاحِدُ اجْتَمَعَ فِيهِ الْأَمْرَانِ:

١ - خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢ - وقدرة أو خلق أو فعل العبد.

ولا يعني ذلك أن الله أجبرني على فعله، الله لم يجبرني على ذلك، فمن ادعى أن هذا الخلق أو القول بأن الله خلق هو إجبار، فنقول: قد افترت؛ **لأنه لا دليل لك**، من الذي قال أن خلق الله يعني إجبار؟ كل الإشكالية في هذا المحز، إشكالية القدر في هذا، فهم المنحرفين أن خلق الله لأفعال العباد يساوي إجبارهم عليها، هذه الإشكالية.

★ لذلك الإمام الأوزاعي -رحمه الله- لما يقول: هل جبر الله الخلق؟ فقال: (لا، بل، جبل الله الخلق)، في فرق بين جبل وجبر؛ نعم جاء عن بعض السلف كلمة جبر، أن الله جبرهم وكذا، لكنها تُفسر بالجبل أو تُفسر بالتيسير، والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًا، ومعتقد أهل السنة والجماعة في هذا الباب معتقد واضح، يعتقدون أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْرُ الْكُونِ**، وخلق الخلائق، **وَأَنَّ لِتَقْدِيرِهِ عَزَّوَجَلَّ** أربع مراتب:

✦ **المرتبة الأولى: مرتبة العلم**، وهي أن نعتقد أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِلْمُ كُلِّ شَيْءٍ**، فعلمه محيطٌ بكل شيء، علم ما كان، وما يكون، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، فعلم الماضي والحاضر والمستقبل والمستحيل، فعلم الله متعلقٌ بكل شيء **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾** [الحشر: ٢٢]، وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾** [الطلاق: ١٢]، **﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**، والله على كل شيء عليم، آيات كثيرة جدًا في القرآن الكريم تثبت إحاطة علم الله بكل شيء، و**﴿اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾** [النساء: ١٢٦].

✦ **المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة**، نؤمن ونعتقد أن الله كتب كل شيء، كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ** في كتابه الكريم: **﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾** [الحج: ٧٠]، وروى مسلمٌ في صحيحه عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن تُخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة».

★ لذلك اختلف العلماء في أول المخلوقات، قال ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ- في نونيته:

وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي الْقَلَمِ الَّذِي كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدِّيَانِ
هَلْ كَانَ قَبْلَ الْعَرْشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ قَوْلَانِ عِنْدَ أَبِي الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيِّ
وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلُ لِأَنَّهُ وَقَّتْ الْكِتَابَةَ كَانَ ذَا أَرْكَانٍ

فخلاف بين السلف في أول ما خلق الله، والصحيح: أن أول ما خلق الله من الخلق العرش.

وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي الْقَلَمِ الَّذِي كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدِّيَانِ
هَلْ كَانَ قَبْلَ الْعَرْشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ قَوْلَانِ عِنْدَ أَبِي الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيِّ
وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلُ لِأَنَّهُ وَقَّتْ الْكِتَابَةَ كَانَ ذَا أَرْكَانٍ

✦ وهذه الكتابة -يا إخواني- أنواع:

★ هناك كتابة أزلية.

★ وكتابة خلقية تتعلق بكل إنسان.

★ وكتابة حولية.

★ وكتابة يومية.

← الكتابة الأزلية: هي المقصودة بهذا الحديث؛ «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»، وهناك كتابة خلقية، كما جاء في حديث ابن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في الصحيحين، «إنَّ أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يُبعث أو يُرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح ويؤمر بكتب أربع كلمات»، الكتابة الخلقية هذه هي فرعٌ عن الكتابة الأزلية.

← وهناك كتابة حولية في ليلة القدر، في ليلة القدر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يكتب ما سيكون في هذا الحول، وهي أيضًا تفرغ عن الكتابة الأزلية، وهناك كتابة يومية، يكتب الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فيها ما يكون في اليوم.

★ إذا هذه المرتبة الثانية: العلم، علم كل شيء تؤمن بذلك، والذي ينكر علم الله **عَزَّوَجَلَّ** يكفر مباشرة، ثم الكتابة؛ كتب الله كل شيء **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

✽ المرتبة الثالثة: المشيئة، شاء الله **عَزَّوَجَلَّ** القضاء والقدر، شاء ما يكون في هذا الكون، كما قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِيْئِيْءٍ إِنِّيْ فَاعِلٌ ذَلِكُمْ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤]، وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾، وهنا في هذه الآية المعنى الذي ذكرته قبل قليل في الجمع بين المشيئتين، نحن نشاء؛ لأن أثبت الله لنا مشيئة وإرادة حرة - كما يقولون-، أثبتنا لنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ولكنها لا تكون إلا بعد أن يشاء الله دون إجبار، ودون إكراه، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾.

✽ المرتبة الرابعة: الخلق، وهو الإيمان بأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** خلق كل شيء، وخلق العباد وأفعالهم، كما قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال سبحانه: ﴿وَاللهُ خَالِقُكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، آيات واضحة وصریحة.

وفي كتاب [خلق أفعال العباد] للإمام البخاري وابن أبي عاصم في السنة بسند صحيح، قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللهَ صَنَعَ أَوْ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنَعْتَهُ»، هذه مراتب القدر الأربعة باختصار عند أهل السنة والجماعة.

كهي بقي أن نقول: يُثار شبهة دائماً شهيرة جداً كيف الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قَدَّرَ المقادير، وعَلِمَ المؤمنين، وعَلِمَ أهل الجنة، وعَلِمَ أهل النار، بل شاء، بل خلق، ثم بعد ذلك يأمرنا بأن نفعل، أو أن نعبد أو كذا؟ وهذه الشبهة أو هذا السؤال طرحه الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالوا: يا رسول الله، إِنَّ اللَّهَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** خلق خلقه، وعَلِمَ أهل الجنة وأهل النار، ففيم العمل؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اعملوا فكلٌ ميسرٌ لما خُلِقَ له».

لذلك من العبارات الدقيقة والرشيقة: أن نقول في إجابة سؤال: هل الإنسان مسير أم مخير؟

أن نقول: الإنسان ميسر، ليس مسيراً، على حد التعبير النبوي، ميسر، ما معنى ميسر؟ غير مجبر، ولكن قد يُرتب الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أسباباً تقودك لفعل الطاعة، كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في سورة الليل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٥-٧]، تجد تفتح لك أبواب الطاعات، يتيسر ينشرح صدرك للطاعة ما تُجبر، لكن تيسر، بالمقابل الذي يُعرض ويحمل في قلبه الإعراض، وعدم الرغبة في الطاعة، ييسر للعسري، ولا يُجبر عليها.

إذاً الخلاصة - يا إخواني باختصار - في جواب هذه الشبهة: أنه ما نقررهُ من معتقدتنا أن الله خلق وشاء وكتب، وعَلِمَ مقادير الخلائق، كل ذلك لا يساوي أجبر الخلائق على الفعل، فأنت يا أيها الإنسان حر بما تفعل، ولا يجوز لك أن تحتج بقدر الله على معائبك، لذلك أقدر الله يحتج بها على المصائب لا على المعائب.

★ والفرق بين المصائب والمعائب: أن المعائب ما كان من قبلك أنت؛ كالمعاصي والسيئات، فلا يجوز لك أن تحتج بها، أما المصائب: ما كان من فعلٍ لا علاقة لك بك، طحت مريض، طاح عليك شيء من فوق، أو حدث لك حدث لا شأن لك به، تقول: قدر الله وما شاء الله، لماذا؟ لماذا تقول: قدر الله وما شاء فعل في المصائب؟ لأنه لا يد لك فيها، فتنسب القدر لله، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك».

المعائب أي: المعاصي والسيئات والمشاكل التي فعلتها، هل هي من القدر؟ نعم، هل يجوز الاحتجاج بالقدر؟ لا، لماذا؟

✽ لأنك فعلتها بإرادتك لم تُجبر عليها، لم يجبرك عليها أحد، كونك علمت أن الله خلقها وشاءها وقدّر لها قبل؛ لا يؤثر ذلك في إرادتك، أنت تستطيع الآن أن تفعل ما تريد، تقوم، وتجلس وتقعّد، وتتكلم، وتفعل ما تشاء، هذا أولاً.

✽ ثانيًا: الذي يحتجُّ بالقدرِ على المصائب والمعائب جميعًا، فيحتجُّ بالقدر على معاصيه لن يقبل منك أن تحتجُّ بالقدرِ على ظلمه والاعتداء عليه، هذا الرجل لو قمت أنت وضربته، إذا قال لك: أنا ماذا أفعل؟ قدر الله وما شاء فعل، تقوم تطقه وتقول: قدر الله وما شاء الله، وإذا ما اقتنع اطرق ثاني، ما اقتنع اطرق ثالث، قل له: ماذا أفعل؟ هذا قدر لا بد أن تتحمل، وطراقات تشتغل عليه طراقات حتى يقول: اقتنعت، إذا ما اقتنع قل له: لا، هذا قدرك، تحمل هذا القدر، لا تلومني، قل له: لا تلومني هذا قدر، هل سيقبل؟ أبدًا، ما سيقبل.

فالأمر إن شاء الله واضح، وإنما هي فقط محاولة هروب من هذا الأمر، هذا قوله:

وَبِالْقَدْرِ الْمَقْدُورِ أَيَقِينُ فَإِنَّهُ دِعَامَةٌ عَقْدِ الدِّينِ

نعم هو دعامة، أي: أساس؛ وذلك لأنه ركن من الأركان الستة، فهو من دعامات عقد الدين أي: عقيدة المسلم في دينه، (وَالدِّينُ أَيْحُ)، أَيْحُ: أي: واسع فيه كثير من المسائل والمعتقدات.

ثم قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (وَلَا تُنْكِرْنَ جَهْلًا).

جهلاً: حال، أي حال كونك جاهلاً، وكما قال الشاعر:

أَتَانَا أَنْ سَهْلًا ذَمَّ جَهْلًا لَوْمًا لَيْسَ يَعْرِفُهُنَّ سَهْلٌ
 عِلْمًا لَوْ دَرَاهَا مَا قَلَاهَا وَلَكِنَّ الرِّضَا بِالْجَهْلِ سَهْلٌ

فهنا مثله (وَلَا تُنْكِرْنَ جَهْلًا)، أي: حال كونك جاهلاً.

(نَكِيرًا وَمُنْكَرًا)، نكير ومنكر أو منكر ونكير ملكان يأتيان الإنسان في قبره، فيختبرانه ويمتحنانه، وقد ثبت وجود هذين الملكين بالتواتر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومرر معنا قبل درس التفسير سورة إبراهيم ﴿يُبَيِّنُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وروى الشيخان في صحيحيهما من حديث البراء بن عازب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ قَوْلَهُ: ﴿يُبَيِّنُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، جعلها في منكر ونكير اللذان يأتيان فيقولان: مَنْ ربك؟ ما دينك؟ مَنْ نبيك؟ فالمؤمن يقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أمَّا المنافق فيقول: ها، ها، لا أدري، وهذا أمر قد تواتر.

وفي الصحيحين من حديث أنس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وَضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قِرْعَ نَعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيَقْعَدَانِهِ، فَيَقُولُونَ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟» أي: محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، فَقَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا» أي: مقعده من الجنة ومقعده من النار لو كان قد كفر، فيزداد غبطة وفرحًا.

«وأمل المنافق فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقول: لا دريت ولا تليت، ويُطرق أو ويضرب بمطراقٍ من حديد ضربةً، فيصيح صيحةً يسمعه مَنْ يليه غير الثقلين» أي: غير الإنس والجن.

﴿ وفي الصحيحين أيضًا من حديث أسماء بنت أبي بكر -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَعَنْ أَبِيهَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ يَوْمَ الْكُسُوفِ كَسُوفِ الشَّمْسِ لَمَّا صَلَّى وَخُطِبَ قَالَ: «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ، مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، يُؤْتَى أَحَدَكُمْ فَيُقَالُ لَهُ: مَا عَلِمْتَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُؤَقِنُ، فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَأَمَنَّا، وَاتَّبَعْنَا، فَيُقَالُ لَهُ: نَمَّ صَالِحًا، فَقَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لِمُؤْمِنًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْمُرتَابُ، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ».

وروي كذلك من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وروي من حديث عمر -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- أيضًا، وروي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، لذلك قال العلماء: أحاديث منكر ونكير بلغت حد التواتر، واسم منكر ونكير حاول بعض المعتزلة أن ينفوها، فنفوا منكر ونكير، قالوا: كيف يكون منكر ونكير؟ كيف يُسَمَّى ملكان بهذا الاسم؟

قال ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ- في كتاب [الروح] قال: (كثيرٌ من المعتزلة لا يجوز تسمية ملائكة الله تعالى بمنكرٍ ونكيرٍ، وإنما المنكر ما يبدو من تلجلجه) أي: الميت إذا سُئِلَ (والنكير تقرير الملكين له)، ولكن قال الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ-: (تؤمن بمنكر ونكير؟ قال: نعم، فُرجع في منكر ونكير قال: هكذا هو)، هكذا جاء، أي: هكذا ثبت بهذا الاسم.

لذلك قال: (وَلَا تُنْكَرَنَّ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا).

(وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنصَحُ).

الحوض كذلك جاء متواتراً عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد جاء من رواية بضعة وخمسين صحابياً أحاديث الحوض، والحوض: هو حوض سيكون في الأرض يوم القيامة، والأرض غير الأرض هذه الَّتِي نحن فيها، الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيبدل هذه الأرض، قال: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، فيجعل الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حوضاً عظيماً جداً.

جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حوضي مسيرة شهر»، شهر كامل حتى تصل من طرفه إلى طرفه، «ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيدانه» أي: أكوابه الَّتِي يُشْرَبُ مِنْهَا «كنجوم السماء، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَا يَظْمَأُ أَبَدًا»، نسأل الله أَنْ يَرْزُقَنَا وَإِيَّاكُمْ شَرْبَةً مِنْ هَذَا الْحَوْضِ.

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان عن أبي أمامة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْأَخْنَسِ: وَاللَّهِ مَا أَوْلَيْتُكَ فِي أُمَّتِكَ إِلَّا كَالذُّبَابِ الْأَصْهَبِ فِي الذُّبَابِ» أي: نادرين، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ وَعَدَنِي سَبْعِينَ أَلْفًا، مَعَ كُلِّ سَبْعِينَ أَلْفًا وَزَادَ ثَلَاثَ حَيَاتٍ، قَالَ: فَمَا سَعَةُ حَوْضِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: كَمَا بَيْنَ عَدَنٍ إِلَى عَمَانَ وَأَوْسَعُ، وَأَوْسَعُ يُشِيرُ بِيَدِهِ قَالَ فِيهِ مَثْعَبَانِ».

مثعبان: أي: مصبان مثل الشلال.

«مَنْ ذَهَبَ وَفَضَّةً قَالَ: فَمَا مَاءُ حَوْضِكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ الْمَسْكِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا، وَلَمْ يُسَوِّدْ وَجْهَهُ أَبَدًا».

والروايات كثيرة في هذا الباب.

← متى أو أين موضع الحوض؟

✽ هناك ثلاث أقوال للعلماء:

✽ بعضهم قال: هو قبل الصراط، أول ما يقوم الناس من قبورهم قبل الصراط، وهذا قول يُنسب لأبي حامد الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ -.

✽ وأكثر العلماء على أنه بعد الصراط؛ لأنه قريبٌ من الجنة فيصيب فيه ميزبان أو مشعبان كما ذكر هنا في الجنة، يُقال: يصب من أنهار الجنة فيه، وهذا القول قول القاضي عياض والحافظ ابن حجر وغيره.

✽ وهناك قول آخر ذكره القرطبي في كتابه [التذكرة] قال: (لا يُنكر أن يكون له حوضان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حوض قبل الصراط، وحوض بعد الصراط)، فالله أعلم.

لكن نحن نؤمن بوجود حوض للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هل الحوض مختص بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم لا؟ أم لكل نبي حوض؟

جاء في سنن الترمذي أن لكل نبي حوضاً، ولكن اختلف في صحة هذا الحديث، فمن صححه أثبت ذلك لكل نبي، ومن لم يصححه نفاه عن الأنبياء، وحصره وقصره على النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. قال: (وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ).

الميزان: كذلك نعتقد من عقيدتنا نحن أهل السنة والجماعة، طبعاً الحوض أنكره المعتزلة، والميزان أنكره المعتزلة كذلك، نؤمن بوجود ميزانٍ له كفتان يُنصب يوم القيامة لإقامة العدل، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال عَرَوَجَلٌ: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦-١١].

وقال سبحانه: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨]، وقد تواترت السُّنَّةُ، أي: الميزان متواتر، والحوض متواتر، ومنكر ونكير وعذاب القبر متواتر، وأجمع أئمة أهل السُّنَّةِ على ذلك، وصحَّ في ذلك الأحاديث الكثيرة جدًا:

★ ومنها: ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لِيُوتَى أَوْ لِيَأْتِيَ الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، ثُمَّ قرأ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]».

★ وفي رواية من روايات حديث جبريل الشهير في سُنَنِ البيهقي وفي كتاب البيهقي في [البعث والنشور] للبيهقي بسند صحيح، لما سأل ما الإيهان؟ قال: «أَنْ تُوْمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَتُوْمَنَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْمِيزَانِ»، ففي روايات حديث جبريل أضاف كلمة والميزان.

★ كذلك جاء في الحاكم وغيره وأحاديث كثيرة - كما أخبرتكم - بلغت حد التواتر أنه يوجد يوم القيامة ميزان.

كَمْ مَا الَّذِي يوزن في هذا الميزان؟

الأعمال والعاملون وصحائف الأعمال، جاء في السُّنَّةِ ما يدلُّ على أنه يوزن العامل نفسه، كما في حديث ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - لما ارتقى مرة على شجرة، فبدت حموشة ساقيه، أي: دقة ساقيه، كان دقيق الساقين - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، فضحك بعض الصحابة، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَضَحَكُونَ مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ! إِنَّمَا وَاللَّهِ أَثْقَلُ عِنْدَ اللهِ فِي الْمِيزَانِ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ»، والحديث الَّذِي ذكرناه سابقًا «لِيَأْتِيَ الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ».

فدل ذلك على أن العامل يُوزن، وكذلك يُوزن سجلات الأعمال، كما في حديث البطاقة الشهير، حديث البطاقة أنه يُؤتى برجل، فيوضع عمله السبيء في كفة، حديث رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان والبيهقي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله يستخلف رجلاً من أمتي»، وفي لفظ «يُصاح برجلٍ من أمتي على رؤوس الخلائق»، يقول له: تعال، «فَيُنشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سَجَلًا»؛ سجلات، «كل سجلٍ منها مثل مد البصر، فيقال: أتتكر من هذا شيئاً»؛ أنت عندك اعتراض على شيء من هذا!

«أظلمك كتبة الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذرٌ أو حسنة؟ فيقول: لا يا رب، فيقول الله: بلى، إنَّ لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة»، بطاقة «فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تُظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات»، تطيش السجلات، وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء.

وهذا الحديث إسناده صحيح، وهو مشهور اسمه حديث البطاقة، أفرد في مؤلفات مستقلة، طبعاً هذا الرجل -كما يذكر الشراح- قال هذه الكلمة، صحيح أنه عصي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكنه كان صادقاً في الشهادتين، وربما يكون عنده من العمل، أي: لم يكن خالياً من العمل الصالح على الأقل الفرائض، ليست القضية كلام يقوله الإنسان ويترك العمل.

لذلك من لطيف أدعية السلف -رَحِمَهُمُ اللهُ- أنهم كانوا يقولون: اللهم إننا لم نعصك بأبغض المعاصي إليك وهو الكفر، وأطعناك بأحب الطاعات إليك وهو التوحيد، فاغفر لنا ما بينهما، ولعلمهم استنبطوا أو استلهموا من هذا الحديث هذا الدعاء.

﴿ وروى أحمد بسند حسن عن ابن عمرو - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَيْضًا وَعَنْ أَبِيهِ - قَالَ: قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَوْضَعُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُؤْتَى بِالرَّجْلِ، فَيُوضَعُ فِي كَفَّةٍ»، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يُوزَنُ الْعَامِلُ، وَيُوزَنُ السَّجَلَاتُ نَفْسَهَا، «وَيُوضَعُ مَا أَحْصَى عَلَيْهِ فِي كَفَّةٍ، فَتَمِيلُ بِهِ الْمِيزَانُ فَيُعْثُ بِهِ إِلَى النَّارِ، فَإِذَا أُدْبِرَ بِهِ إِذَا صَائِحٌ يَصِيحُ مِنَ عِنْدِ الرَّحْمَنِ: لَا تَعْجَلُوا، لَا تَعْجَلُوا، فَإِنَّهُ قَدْ بَقِيَ لِي، فَيُؤْتَى بِبَطَاقَةٍ فِيهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَتَوْضَعُ مَعَ الرَّجْلِ فِي كَفَّتِهِ حَتَّى يَمِيلَ بِهِ».

☆ الشئ الثالث الذي يوزن: العمل نفسه، كما صحَّ في الصحيح أن النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قَالَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ».

★ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَهَذِهِ قَالُوهَا الْمُعْتَزِلَةُ نَفَوْا ذَلِكَ، فَقَالُوا: كَيْفَ الْعَمَلُ أَعْرَاضٌ، أَعْرَاضُ أَي: غَيْرُ مَلْمُوسَةٍ، كَيْفَ تُوزَنُ؟ فنقول: اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، يَجُوهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى أَجْسَامٍ قَابِلَةٌ لِلْوِزْنِ، مَا فِي حَرْجٍ.

﴿ لذلك يقول الحافظ ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ - فِي تَفْسِيرِهِ: (الْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الْآثَارِ بِأَنَّ يَكُونُ ذَلِكَ كُلُّهُ صَحِيحًا)، أَي: وَزَنَ الْإِنْسَانَ وَوَزَنَ السَّجَلَاتِ وَوَزَنَ الْعَمَلَ، (فَتَارَةٌ تُوزَنُ الْأَعْمَالُ، وَتَارَةٌ تُوزَنُ مَحَالُهَا، وَتَارَةٌ يُوزَنُ فَاعِلُهَا).

تُنصَحُ

إِنَّكَ

وَقُلْ يُخْرِجُ اللهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ مِنْ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ كَحَبَّةِ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

طَبَعًا هَذِهِ الْآيَاتُ ذَكَرَ فِيهَا الشَّيْخُ - رَحِمَهُ اللهُ - طَرَفًا مِمَّا يُسَمَّى بِالسَّمْعِيَّاتِ أَوِ الْغَيْبِيَّاتِ، وَهِيَ الْمُعْتَقَدَاتُ الَّتِي يَعْتَقِدُهَا الْمُسْلِمُ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ، فَذَكَرَ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، وَعَذَابُ الْقَبْرِ، وَالْحَوْضُ وَالْمِيزَانُ، وَذَكَرَ هُنَا أَيْضًا إِحْدَى صُورِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لا يُخَلِّدُ الْمُؤْمِنِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَإِنَّهُ إِذَا قَدَّرَ عَلَى أَحَدِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْخُلَ جَهَنَّمَ - نَسَأَلَ اللهُ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ - فَإِنَّهُ سَيُخْرِجُ مِنْهَا فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، فَإِذَا خَرَجَ قَالَ الشَّيْخُ هُنَا:

وَقُلْ يُخْرِجُ اللهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ عَلَى النَّهْرِ

هناك نهر في الفردوس في الجنة تحيا بهائه.

تَحْيَا بِبِائِهِ كَحَبَّةِ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

يشيرُ هنا إلى حديثِ رواه البخاري ومسلم، من حديثِ أبي سعيدٍ الخدري -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وهو حديثٌ طويلٌ، يقول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ضمن الحديث: «حتى إذا خلص المؤمنون من النار»، أي: الَّذِينَ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمْ دُخُولَ النَّارِ لِلتَّمْحِيصِ، وَلِلْعَذَابِ فِي بَعْضِ الْمَعَاصِي الَّتِي لَمْ يَتَّبِعُوا مِنْهَا، مَاتُوا دُونَ أَنْ يَتُوبُوا مِنْهَا، أَوْ لَمْ تُقْبَلْ تَوْبَتُهُمْ مِثْلًا، فَشَاءَ اللهُ أَنْ يَعَذِّبَهُمْ، فَإِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ بِأَشَدَّ مَنَاشِدَةً لَلَّهِ تَعَالَى فِي اسْتِيفَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ».

أي: الَّذِينَ دَخَلُوا الْجَنَّةَ يَطْلُبُونَ مِنَ اللهِ **عَزَّوَجَلَّ** أَنْ يُخْرِجَ إِخْوَانَهُمُ الَّذِينَ دَخَلُوا النَّارَ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَصَلُّونَ مَعَنَا، وَيُحْجُونَ مَعَنَا، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرَجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، لِذَلِكَ هُنَا -وَهَذَا سِيَّاتِنَا إِنْ شَاءَ اللهُ فِي الدَّرْسِ الْقَادِمِ- مَوْضُوعُ الشَّفَاعَةِ، شَفَاعَةُ الصَّالِحِينَ، وَأَنَّ الصَّالِحِينَ يَشْفَعُونَ لِمَنْ يَعْرِفُونَ، يَقُولُ: أَخْرَجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ.

كذلك جاء عن بعض السلف (استكثروا من معرفة الصالحين)، يمكن يعرفك واحد يشفع لك يوم القيامة، «فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار»، هؤلاء الذين يأمر الله بدخولهم النار تحرم، لا يدخلون النار دون أن يعذبوا بها، «فيخرجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار أنصاف ساقيه أو إلى ركبتيه فيقولون: ربنا ما بقي فيها أحدٌ مما أمرتنا به، فيقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينارٍ من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر مما أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينارٍ من خير فأخرجوه»، وهكذا الحديث يطول يرجعون وهكذا، حتى يصل إلى مثقال الذرة.

يقول أبو سعيد: «إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]»، فيقول الله تعالى، هذا كله في الحديث، في الصحيحين الحديث، «شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ بِهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا مُهْمًا». صاروا مثل الفحم - نسأل الله السلامة والعافية -.

«فيلقيهم في نهرٍ في أفواه الجنة» أي: على مداخل الجنة، عند أبواب الجنة، «يُقال له: نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، أو في حمل السيل».

كذلك ويقول الحافظ ابن رجب في قوله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لم يعملوا خيرًا قط»، قال: (أي من أعمال الجوارح، وإن كان أصل التوحيد معهم)، أي: ما يخرج من الكفار أحد، أي: لا يطمع الكافر أن يشمل هذا الحديث، المقصود من الموحدين، (وإن كان أصل التوحيد معهم)، ولهذا جاء في حديث الذي أمر أهله أن يجرقوه بعد موته بالنار أنه لم يعمل خيرًا قط غير التوحيد.

لما هو حبُّ حميل السيل؟ ما معنى حبِّ حميل السيل؟

السيل معروف، وحبُّ حميل السيل هو شيءٌ من الحبوب أو البذور تحملهُ السيول معها، فتلقيه على حواف السيل، فتجد بعد مدة من الوقت تنبت هذه الحبة، وتصير شجر، فشبههم النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هؤلاء الموحدين الَّذِينَ يَخْرُجُونَ مِنْ جَهَنَّمَ، فيلقون في نهر الحياة، يقذفهم هذا النهر فينبتون على أطرافه، سبحان الله! كأنهم ينبتون من جديد «كحب حميل السيل»، مثلما تنبت الحبوب أو البذور التي تلقىها السيول على أطراف مجرى هذا السيل، أو مجرى هذا النهر، «كما تنبت الحبة في حميل السيل».

وهذا طبعاً من فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ الموحدين.

وَقُلْ يُخْرِجُ اللهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ
عَلَى النَّهْرِ فِي الْفَرْدَوْسِ تَحْيَا
مِنَ النَّارِ أَجْسَاداً مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ
بِمَائِهِ كَحَبَّةِ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

ولعلنا نقف هنا إن شاء الله تعالى، ونكمل الدرس القادم الَّذِي لَعَلَّهُ سَيَكُونُ الْأَخِيرَ، إذا الله يسر ممكن نختم الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى هذه المنظومة، فلم يتبق لنا إلا عدد يسير من الأبيات تقريباً ثمان أبيات، فإن شاء الله إذا الله يسر سيكون الأسبوع القادم هو ختام هذا النظم، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وجزاكم الله خيراً.

الأسئلة

س /

ج / ما يناقض عدم الخلق يناقض الظلم الذي يزعمونه، ماذا يقولون؟ يقولون: الخلق يعني: الإجبار، ويعني الظلم، فنقول لهم: كيف؟ أنتم تقولون أنه علم أفعالهم؟ وعلمه أنتم تقولون أنه ليس بظلم، لماذا لا تقولون نفس الشيء عن خلقه؟ لماذا أثبتتم شيئاً ونفيتم شيئاً؟ وكلاهما نستطيع أن نثبتها معنا في الظلم، هذا معنى العبارة.

س / شيخنا قول الإمام السفاريني: (أفعالنا مخلوقة لله لكنها كسب لنا يا لاهي)، كيف؟

ج / طبعاً هنا يحتمل كلامه أن يكون موافقاً لمذهب الأشاعرة يحتمل، ويحتمل ألا يكون كذلك، نعم هي مخلوقة لله، ولا ينافي ذلك أن تكون كسباً لنا، فهذه العبارة في ظاهرها كلمة الكسب قد يقصد بها المعنى اللغوي وليس المعنى الاصطلاحي بمفهوم الأشاعرة، وهذا المظنون به، وهذا الأصل أن يُحتمل كلام العلماء على الصواب ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

نعم، نحن نقول إنها مخلوقة لله، وهي كسب لنا، بهذا القدر اللغوي لا ننكره، وقد يكون مقصود الكسب هنا الكسب عند أبي الحسن الأشعري، لكن ليس هذا، بل هو نصّ في شرح [لوامع الأنوار] على أن هذا المعتقد معتقد الأشعري في الكسب هو من غير المعقولات، وذمه ونفى، فهذا يدلّ على أنه لم يقصد ذلك.

س /

ج / الهندوس كلهم عنده هذا الفكر، فكر التناسخ، تناسخ الأرواح موجودة، الإلحاد أشبه ما يكونون في الفكر من حيث الإيمان بالقدر الجبرية، الملاحظة اليوم جبرية ينصون على ذلك صراحةً، فيقولون: أننا كالريشة في مهب الريح يصرحون، حتى سام هاريس أحد كبار الملاحدة في هذا العصر ألف كتاب في إثبات عقيدة الجبر كتاب كامل، وأنا مجبورون، وأن الحياة لا معنى لها، وأن كذا، وأن كذا، فهم ملاحظة العصر جبرية، ما مر علي قدرية اليوم، بمعنى القدرية الذين ينفون أنهم هم الذين خلقوا أفعالهم إلا المعتزلة.

س / شيخ، بالنسبة للعقيدة هل من أراد أن يتعلم العقيدة تعلمًا صحيحًا يجب عليه أن يتعلم هذه الفرق كلها، ومذاهبها واعتقاداتها، والطرق الكلامية وكيف نرد عليها؟ ولا يكفي أن يعتقد مذهب أهل السنة والجماعة؟

ج / كفيه أن يعتقد مذهب أهل السنة والجماعة، ولكن من تمام معرفة معتقد أهل السنة والجماعة أن يعرف المعتقدات المخالفة حتى لا يقع فيها من حيث لا يشعر، هذا أمر.

الأمر الثاني: أن كثيرًا من تقارير أهل السنة والجماعة نشأت ردًا على الفرق المبتدعة، كما يقول علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "العلم نقطة كثرها الجهلاء"، أصل العلم الكتاب والسنة يكفي، لذلك الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- ما كان عندهم كتب في العقيدة، ما في مؤلفات في العقيدة في زمن الصحابة؛ لأنهم يعتقدون ما في الكتاب والسنة.

لماذا ظهرت رسائل العقيدة بعد ذلك؟

هي في الأصل رد على المبتدعة، لذلك أغلب كتب العقيدة تُساق ويُقصد فيها ضمناً الرد على الطوائف الأخرى، (وَلَا تُنْكِرْنَ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا)، يرد على المعتزلة الَّذِينَ يَنْكُرُونَ نَكِيرًا وَمَنْكِرًا، ولا تنكر كذا، وفي [السفارينية]:

وليس واجباً فعل الأصلح ولا الصلاح ويح من لم يفلح

رد على المعتزلة بالقول بأنه يجب عليه فعل الأصلح وكثير، فلا تستطيع أن تعزل الأقوال المنحرفة في دراستك للعقيدة بشكل كامل ما تستطيع، لكن نعم نقول: لا تغرق في تفاصيل أقوالهم، فتفاصيل أقوالهم تطول، فلا نغرق في تفاصيلها، وإنما نعرف فقط أصولها، مثل مثلاً: الجبرية ماذا تعني، القدرية ماذا تعني؟ الرافضة ومقابلهم النواصب، الكذا ومقابلهم كذا وهكذا.

س/ ...

ج/ حديث موسى، نعم حديث محاجة آدم وموسى -عليهما السلام- مروى في الصحيح، يقول موسى -عليه السلام- لما كلم أباه آدم قال: (يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته، لماذا أخرجتنا من الجنة)؟ فقال آدم -عليه السلام-: يا موسى إنك كليم الله، وكلمك وكذا، أتحتج عليّ بأمرٍ قدره الله قبل أن أخلق بخمسين ألف سنة، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى».

أي: ظهرت حجة آدم على حجة موسى، هناك عدة تفسيرات لهذا الحديث:

✧ منها تفسيراتٍ ضعيفة، كقول مَنْ يقول: حج آدم موسى لأنه أبوه، والأب دائماً على حق؛ لأنَّ موسى المفروض ما يقول هذا الكلام لأبيه؛ لذلك حجه، وهذا طبعاً ضعيف.

وهناك مَنْ قال: «حَجَّ آدَمُ مُوسَى»، «حَجَّ آدَمَ مُوسَى»، وجعل الَّذِي ظهر موسى، وهذا خطأ طبعًا ضعيف.

لما الصواب في المسألة؟

هذان الوجهان هما الصحيحان في فهم الحديث:

✽ **الوجه الأول:** أن يُقال أن آدَمَ -عليه السلام- قد تاب، وقبل الله **عَزَّوَجَلَّ** توبته، وأنه بعد التوبة لا يجوز تعنيف وتأنيب أو لوم التائب، ويحَقُّ للتائب أن يقول له: هذا عاد قَدَّرَ الله وما شاء فعل، فيجوز الاحتجاج على الذنب بعد التوبة بصير، تقول: والله، هذا قَدَّرَ الله لا من باب التبرير بالنفس، وإنما من باب رد الَّذِي يلوم بعد التوبة، هذا وجه.

✽ **لكن الوجه الأقوى:** وهذا الَّذِي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ- بشكلٍ صريحٍ قال: موسى -عليه السلام- قد لام آدَمَ على الإخراج، وهو من المصائب لا من المعائب، هو قال: أخرجتنا، فكان النقاش ليس على أكل الشجرة، على الإخراج، والإخراج صحيح أنه حدث بسبب أكل الشجرة، ولكن لم يكن أكل الشجرة، وحتى شيخ الإسلام قال: موسى أجل من أن يحتج على أو يلوم إنسانًا قد عصى الله **عَزَّوَجَلَّ**، وإنما كان يتكلم عن لماذا أخرجتنا؟ تسببت بإخراجنا من الجنة.

فاحتج آدم -عليه السلام- بالقدر، فاحتججه هنا على المصائب لا على المعائب، هذا أقوى ما قيل في هذا، ابن تيمية أفرد رسالة في هذه المسألة طبعت مفردةً بعنوان الاحتجاج بالقدر، [رسالة الاحتجاج بالقدر] مطبوعة قديمًا، فهذا القول في حديث محاجة آدم وموسى. والله أعلم.

س /

ج/ الدعاء جاء في بعض الأحاديث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لا يردُّ القدر إلا الدعاء»، وفي حديث آخر «أنَّ الدعاء إذا نزل القدر وصعد الدعاء يعترجان في السماء» أي: يتصارعان، سبحانه الله! وقد يُرد القدر أو يُردُّ المكتوب بالدعاء، طبعًا هذا تحريره وفهمه أن يُقال: إنَّ الدعاء سببٌ من الأسباب، والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ابن القيم له كلمة في هذا الباب يقول: (الأمور المقدره نوعان: أمورٌ مقدرهٌ بدون سبب من الإنسان، وأمورٌ مقدرهٌ بأسبابها).

فأنت مقدرٌ لك الولد ولكن بشرط أن تتزوج، ومقدرٌ لك كذا بشرط كذا، ومقدرٌ لك بشرط كذا، فإذا فعلت السبب حصل لك المسبب، ومن ذلك الدعاء، فقد يكون لك من القدر ما كُتِب لك من الخير، ولكن بشرط أن ترفع يديك في الدعاء، فإذا دعوت كُتِب لك وإلا فلا، وكله داخل إطار القضاء أصلاً، الله يعلم هل ستدعوه أم لا، ولكنه سببٌ من الأسباب، الواقع تحت إرادتك ورغبتك واختيارك.

فنعلم، وهذا أيضاً من الشبهات، قد يقول قائل: إذا الله كاتب لي كل شيء لماذا أدعو؟ أقول: لا، هل ستقول ذلك: إنَّ الله كاتب لك الشبع لماذا آكل؟ لا، ستأكل، لن تقول: لا والله، الله كاتب لي، لا، فتأكل وتشرب وكل شيء، فنفس الشيء الدعاء، كذلك الدعاء، نعم الله كاتب لك ما سيحدث ولكن بشرط أن تدعو، مثلما الله كاتب لك تشبع بشرط تأكل.

س /

ج/ نفسها بالضبط، في قضية الطاعون قال: «أفراراً من قدر الله؟ قال: نفر من قدر الله إلى قدر الله».

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

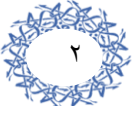


جَائِزَةٌ

أَبْنِ أَبِي جَاءِزَةَ

٦

لِقَضِيئَةِ الشَّيْخِ / مُطْبُوعَةٌ الْجَائِزَةِ



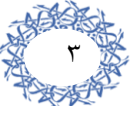
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
وَمَنْ وَاآلِهِ.

أَمَّا بَعْدُ ...

فاليوم المجلس الأخير إن شاء الله في شرح هذه المنظومة [الحائية] في عقيدة أهل السنة والجماعة،
للإمام/ أبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -.

قال - رَحِمَهُ اللهُ -:

وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحٌ
وَلَا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا فَكُلُّهُمْ يَعْيِي وَذُو الْعَرْشِ يَضْفَحُ
وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُزْدِي وَيَفْضَحُ
وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لِعُوبًا بِدِينِهِ أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالدِّينِ يَمْرُحُ
وَقُلْ إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مَصْرَحُ
وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوِزْنِ يَرْجَحُ
وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ
وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَّهَوْا بِدِينِهِمْ فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ
إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرِ تَبِيْتٍ وَتُصْبِحُ



قال - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -:

وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ وَقُلُ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحٌ

✽ أشار الشيخ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - في هذا البيت إلى مسألتين من مسائل الغيب التي نؤمن بها على ما جاءتنا في الكتاب والسنة:

✽ أما المسألة الأولى: هي الشفاعة، وهي شفاعَةُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي أثبتها اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِنبيه - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ إكراماً له.

✽ والمسألة الثانية: هي مسألة عذاب القبر ونعيم القبر.

✽ أما الشفاعة؛ فالشفاعة في اللغة: مأخوذة من الشفع ضد الوتر، والمقصود به: ضمُّ الشيء إلى الشيء، وذلك أن الشفاعة هي ضمُّ كلمة أو موقف الشافع إلى موقف المشفوع؛ لإنجاز أو تحصيل مصلحة، أو دفع مفسدة، لذلك سميت الشفاعة شفاعَةً لذلك.

قال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].



﴿ أمّا الشفاعة اصطلاحاً: فعمل من أطف تعاريفها هو سؤال الخير للغير، أن تطلب وأن تسعى لتحصيل الخير للغير، تُسمى الشفاعة، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له أنواعٌ من الشفاعات، اختص الله عزَّ وجلَّ نبيه - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بها:

☆ من هذه الشفاعات: الشفاعة العظمى، أو الشفاعة العامة تُسمى، وهي أعظم الشفاعات التي ينالها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي المقام المحمود الذي وعده الله عزَّ وجلَّ به، وهي كذلك التي أمرنا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ندعو له بها بعد كل أذان، (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعده)، المقام المحمود هو شفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته يوم القيامة، بأن يقضي الله سبحانه وتعالى بين العباد.

وذلك أن الله عزَّ وجلَّ إذا بعث العباد ليوم المعاد، ودنت الشمس حتى تقرب من الخلائق، ويعرق الناس، ويكون الناس حسب أعمالهم في عرقهم:

☆ فمنهم مَنْ يكون العرق إلى ركبته.

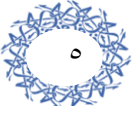
☆ ومنهم مَنْ يكون إلى حقيقه.

☆ ومنهم مَنْ يكون إلى ثديه.

☆ ومنهم مَنْ يغطُّ في عرقه.

☆ وهناك مَنْ يكون تحت ظل العرش.

ويحدث ما يحدث من أهوال يتشوف الناس لأن يبدأ الحساب، حتى إنه في بعض الروايات يجار الكفار بأن يساقوا إلى جهنم خير لهم من هذا الموقف العظيم؛ الذي قال الله عزَّ وجلَّ عنه: ﴿يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ [الحج: ٢]، ويحشر الناس في هذا الموقف حفاةً، عراةً، غرلاً، غير مختونين.



فتقول أم المؤمنين عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يا رسول الله، النساء والرجال ينظر بعضهم إلى بعض؟!) فيقول - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يا عائشة، إِنَّ الأمرَ أعظمُ من أن يهتمهم ذلك».

أي: تخيلوا موقفًا من شدته لا ينظر الإنسان، لا يكون عنده دافع لينظر إلى امرأة عارية، أو ينظر إلى العراة حوله، ما هذا الهول الَّذِي حتى الإنسان ما يطيق أو لا يملك دافعية تجعله ينظر إلى العراة من شدة هول هذا الموقف! فيجأ الناس فيذهبون إلى الأنبياء.

وورد في ذلك حديث طويل جدًا، فيه أن يأتون إلى آدم -عليه السلام- ويقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، ألا ترى ما نحن فيه! ألا ترى ما قد بلغنا! أشفع لنا عند ربك، فيقول آدم -عليه السلام- (إِنَّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد عصيت ربي وأكلت من الشجرة، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح).

فيذهبون إلى نوح -عليه السلام-، ويقولون له كما قالوا لآدم، فيقول نفس كلمة آدم، (إِنَّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد عصيت ربي وسألته ما لا يحق لي أن أسأله)، لما قال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هود: ٤٥]، اذهبوا إلى غيري، وهكذا يذهبون إلى رسولٍ بعد رسول، فيذهبون إلى إبراهيم، وإلى موسى، وإلى عيسى، حتى يُقال لهم: اذهبوا إلى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فيذهبون إلى محمد - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فيقول: «نعم، أنا لها»، فيذهب - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فيسجد تحت العرش، ويقول - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فيلهمني الله عَزَّوَجَلَّ من المحامد ما لا أعرفه اليوم»، فيسجد ما شاء الله له أن يسجد، ثم يُقال له: «يا محمد، ارفع رأسك، وسل تُعطى، واشفع تُشفع»، فيأذن الله عَزَّوَجَلَّ بعد ذلك بإقامة الحساب.

وهذا الحديث أو هذا الموقف العظيم للنبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قد بلغ حد التواتر، وقد صحَّت في ذلك الأخبار، وتواترت فيه الآثار.



كذلك هناك شفاعاتٌ أخرى للنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** غير الشفاعة العظمى، وهي شفاعة النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لأناسٍ من أمته أن يدخلوا الجنة بلا حساب، وهذا جاء مرويًا في الصحيحين من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وجاء فيه أن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «يا رب، أمتي، أمتي، ثم يُقال له: ادخل الجنة من أمتك مَنْ لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب».

كذلك من شفاعته - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: شفاعته في قومٍ من أهل النار أن يخرجوا منها، وجاء في ذلك أيضًا عدة آثار، هذا النوع الثالث.

كذلك النوع الرابع: من شفاعته - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** شفاعته في قومٍ من أهل النار أن يُخفف عنهم عذاب النار، ومنهم عمه أبو طالب، فقد شفع النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في عمه أبي طالب، فهو أدنى أهل النار عذابًا، وذلك أنه قد وُضِعَ تحت قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه، -نسأل الله السلامة والعافية-، هذا أخف أهون أهل النار عذابًا.

كذلك من شفاعته - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: شفاعته لأقوامٍ من أهل الجنة أن يرفعوا درجات في الجنة، نسأل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن يرزقنا وإياكم شفاعة النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لأن ندخل الجنة بلا حساب، اللهم آمين.

ثم قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحٌ).

عذاب القبر وما جاء فيه، ورد في آثار كثيرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يحدث في القبر:

★ منها: منكر ونكير وقد مر معنا قول الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ-: (وَلَا تُنْكِرَنَّ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا)، وذلك أنه إذا كان الإنسان العبد المؤمن في إقبالٍ من الآخرة وإدبارٍ من الدنيا، جاءه ملكان، واستخرجا روحه، وصعدا بها إلى السماء، ثم نزلت مرةً أخرى إلى الأرض، حديث طويل حديث البراء -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

← وفيه: أنه يمدُّ له في قبره مد بصره، ويُرى مقعده من النار، ومقعده من الجنة، فيقال: هذا مقعدك من النار لو لم تكن مؤمنًا، وهذا مقعدك من الجنة، فيقول: ياربّي، أقم الساعة، ربي أقم الساعة، والكافر بعكسه، وجاء كذلك أن الكافر يُضْرَبُ بمرزبة من حديد إلى آخره، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلَاعُهُ، أي: تدخل بعضها في بعض، وكل ذلك قد ثبت عن النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في عدة روايات بلغت بمجموعها مبلغ التواتر المعنوي.

★ بمعنى: وجود عذاب في القبر أو نعيم في القبر بلغ حد التواتر، وقد أنكر عذاب القبر ونيعمه قومٌ ممن طمس الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بصائرهم، وأعمى قلوبهم، وزعموا أن هذا غير صحيح؛ لأنَّ الأَبْصَارَ لَا تَبْصُرُهُ، فقالوا: نحن إذا فتحنا القبر لا نجد نعيمًا ولا عذابًا، فيزعمون أن ما جاء في عذاب القبر ونيعمه يخالف العقل بزعمهم، وهذا لا شك أن كلامهم هو الَّذِي خالف العقل، وخالف قبل ذلك النقل الصحيح، لماذا؟

أمَّا مخالفتُهُ للنقل والشرع فواضح؛ لأنهم عارضوا ما ثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السُّنَّةِ المتواترة في هذا الأمر، أمَّا مخالفتُهُ للعقل: فإنهم قد بنوا هذا الاعتراض على مقولة أو على قاعدة باطلة، وهي أن كل ما لا يُرى فهو غير موجود، هكذا إن لم يكن صريح كلامهم فهو مضمون كلامهم، لما يقولوا: نحن ما رأينا عذاب قبر، إذا عذاب القبر ليس موجود.

كـ هذا معناه أنهم يعتقدون أن كل ما خرج عن دائرة الحواس فهو غير موجود، وهذا لا شك أنه مخالف للعقل؛ لأنَّ العقل ينصُّ على أنَّ عدم العلم ليس علمًا بالعدم، عدم علمك بالشيء ليس علمًا منك بعدمه، وعدم الوجدان لا يعني عدم الوجود، وأنَّ الحواس البشرية محدودة، فالبصر محدود، والعقل محدود، والسمع محدود.

﴿ وهذا يعني أنه لا يحيط بكل شيء، وهذا يعني بدهة أنه لا يحق لمن لم ير أو يسمع بشيء أن ينفيه، كل ما هنالك يقول: أنا لم أسمع ولم أرى، نعم، لكن لا يحق لمن لم يسمع ولم ير أن يقول: لا يوجد، وهذا الكلام أراه بدهيًا لا ينكره من في عقله إنصاف، ومن عنده عقل أصلاً، لذلك ما جاء في عذاب القبر وفي نعيم القبر من نصوص هو داخل في هذا المعنى، نحن نؤمن به، ونعتقد؛ لأننا نصدق بكتاب الله وبسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن عدم رؤيتنا ولا سماعنا لهذا لا يساوي ولا يعني عدم وجوده؛ لأننا محدودو الإدراك والنظر والسمع، وأن كل ما خرج عن دائرة ونطاق سمعنا وإدراكنا هو أمر لا يجوز لنا أن ننفي وجوده، وهذا أمر واضح.

ثم قال -رحمه الله-:

ولا تُكْفِرْنَ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا
فَكُلُّهُمْ يَعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ
ولا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ
مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ
ولا تَكُ مُرْجِيًّا لِعُوبَاءِ بِيَدِيهِ
أَلَا إِنَّهُ الْمُرْجِيُّ بِالذِّينِ يَمْرُحُ

هنا يشير الشيخ -رحمه الله- إلى مسألة من مسائل العقيدة المهمة، والتي اختلف وافترق فيها الناس بين مفرط ومفرط، بين غال وجاف، ودائمًا ما نجد أهل السنة والجماعة وسطًا بين الغالي والجافي، فدائمًا ما تكون الفضيلة وسطًا بين رذيلتين، ودائمًا ما يكون الحق وسطًا بين باطلين.



★ وهذا مثاله ما نحن فيه الآن وهو:

ولا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا فَكُلُّهُمْ يَعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ

من معتقد أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون المسلم بالمعصية، المسلم لا يكفر إذا ثبت إسلام المسلم بيقين فلا يجوز لنا أن نخرجه منه بكبيرة من كبائر الذنوب، ما لم يفعل ناقضاً من نواقض الإسلام، أمّا إذا كان قد ارتكب مهماً ارتكب من الذنوب والمعاصي، فلا يحق لنا أن نكفروه.

قال: (ولا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ)، المقصود بأهل الصلاة: أي: أهل القبلة، أي: من دخل في الإسلام، سواء اتفقت معه في بعض المسائل أو اختلفت معه، يشترك معك في أنه من أهل الصلاة، أي: من أهل القبلة، وقد يعني أيضاً من المعاني التي قد يشير لها الشيخ هنا: أي: الذي يصلي، وذلك لأن تارك الصلاة كافر، وأن العبادة الوحيدة التي يكفر تاركها حتى ولو لم يحد الصلاة، كما هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -؛ لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ».

ولكن لا يحق لمن ترك الصلاة أن تكفروه فوراً؛ لأن هناك شروطاً يجب أن تُطبق عليه قبل إنزال التكفير عليه.

← على كل حال: (ولا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ)، أي: لا تكفر المسلمين، لا يجوز لك أن تكفر المسلمين بالمعاصي والذنوب.

(فَكُلُّهُمْ يَعْصِي) أي: كل البشر سوى من عصمهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من الملائكة ومن الرُّسُل يعصون، وذلك لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»، ويقول أيضاً - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَوْ لَا أَنْكُمْ تُذْنِبُونَ لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ وَلَأْتَى بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ فَيَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ».

وأيضاً قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن المتقين قال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٥].

★ فهؤلاء قد يفعلون الفواحش والذنوب والمعاصي، ولا يخرجهم ذلك عن دائرة الإسلام، فإن تابوا في حياتهم فالحمد لله، فإن لم يتوبوا وماتوا على هذه المعاصي والذنوب والكبائر دون توبة، فهم تحت مشيئة الرحمن **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، إن شاء عفا عنهم، ولم يحاسبهم عليها، وإن شاء حاسبهم عليها، وعذبهم بمقدار ذنوبهم، ثم يكون ما لهم بعد ذلك إلى الجنة.

(فكُلُّهُمْ يَعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ)، فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يعفو ويصفح ويغفر، وجعل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الكفارات، كفارات ذنوب، فقال - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ هَمٍّ وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ لَهُ بِهَا خَطَايَاهُ»، وجعل الصلاة إلى الصلاة كفارات، كما قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، أَيُّقِي مِنْ ذَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لَا يُقِي مِنْ ذَرَنِهِ شَيْءٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَكَذَلِكَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا».

كذلك القصاص بمعنى اقتصاص الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لمن اعتدى عليه بغيبة أو نميمة، يتكلمون فيك الناس الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يعطيك من حسناتهم، أو يأخذ من سيئاتك ويعطيهم، وهكذا، فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** غفورٌ رحيم، ولكن لا يركن الإنسان لمثل هذا الكلام، فيقول: الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** غفورٌ رحيم، نعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** غفورٌ رحيم ولكنه أيضاً شديد العقاب.

❁ هذه المسألة خالف فيها طائفتان:

❁ الطائفة الأولى: التي أشار لها الشيخ - رَحِمَهُ اللهُ - بقوله:

وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرِيدِي وَيَفْضَحُ

الخوارج: هم طائفة من أهل البدع، هم أوَّل مَنْ خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَدْعِ فِي الْإِسْلَامِ، حَتَّى إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَشَارَ وَذَكَرَ أَنَّهُمْ سَيَخْرُجُونَ، وَيَبِينُ أَنَّ الصَّحَابَةَ سَيَقَاتِلُونَهُمْ، رَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ وَلَا نَكْذِبُ بِهَا كَمَا يَكْذِبُ بِهَا أَهْلُ حُرُورَاءَ»، أَي: الْخَوَارِجِ، فَأَشَارَ أَنَسٌ إِلَى بَعْضٍ مِمَّا يَعْتَقِدُهُ الْخَوَارِجُ فِي ذَلِكَ.

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبِينُ أَنَّ الْخَوَارِجَ سَيَخْرُجُونَ، وَيَبِينُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَنَّهُ سَيَخْرُجُ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتِكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ، بَلْ أَشَارَ إِلَى سَيِّدِهِمْ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لَمَّا قَسَمَ غَنَائِمَ حَيْثُ خَرَجَ لَهُ ذُو الْخَوَيْصِرَةِ التَّمِيمِي، رَجُلٌ مَشْمَرُ الْإِزَارِ، نَاتِي الْجَبْهَةِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اعْدِلْ، فَإِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ لَا يُرَادُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، انظُرْ كَيْفَ الْغُلُوبُ بَدَأَ عِنْدَ هَؤُلَاءِ، أَي: حَتَّى النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْحُكَ! مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ!».

أَنَا رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلَنِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَيْدِي بِالْوَحْيِ، إِذَا أَنَا لَمْ أَعْدِلْ مَنْ الَّذِي سَيَعْدِلُ إِذَا، فَخَرَجَ هَذَا الرَّجُلُ فَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يَخْرُجُ مِنْ ضَنْضِي هَذَا أَقْوَامٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتِكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ، وَقَرَاءَتِكُمْ إِلَى قَرَاءَتِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ».

لَا حَظَّ! تَعْبِيرُ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بِأَنَّهُ قَالَ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ»، أَي: دَخَلُوا فِي الدِّينِ، وَلَكِنْ خَرَجُوا مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ، «كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ»، السَّهْمُ إِذَا رَمَيْتَ بِهِ الرَّمِيَةَ الطَّيْرَ مَثَلًا يَدْخُلُ فِيهِ، وَلَكِنْ يَخْرُجُ مِنَ الطَّرْفِ الْآخَرِ، فَهَمَّ غَلَوْا فِي هَذَا الدِّينِ.

← من غلوهم: أنهم يكفرون أصحاب الكبائر، فإنهم عندهم أن مرتكب الكبيرة كافر، وإذا مات فإنه مخلدٌ في النار - نسأل الله السلامة والعافية -، وتمسكوا ببعض ظواهر النصوص:

✽ منها: قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾** [النساء: ٩٣]، تمسكوا بهذا.

فكيف أجاب أهل السنة والجماعة عن مثل هذه الآية؟ كيف نجيب؟

القتل قتل المسلم ليس مكفرًا، هو كبيرة من الكبائر، معصية من المعاصي، فالخوارج يقولون مذهبنا عليه دليل من القرآن، وهو أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** حكم على القاتل بالخلود في النار.

★ فما الجواب عن هذا؟

✽ هناك عدة أجوبة:

✽ منها الجواب الأول: أن تُحمل هذه الآية ومثيلاتها من النصوص على المستحلين، أي: مَنْ قتل مسلمًا حال كونه مستحلًا لقتله، ومعلومٌ أن الاستحلال كفر، مَنْ استحل ذنبًا، أي: حكم بأنه حلال، مَنْ قال: إنَّ الخمر حلال، أو أن الزنا حلال، حتى لو لم يشرب الخمر، فقد كفر؛ **لأنه أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، هذا قول.**

✽ القول الثاني أو التأويل الثاني لهذه الآية: أن المقصود بالخلود هنا المكث الطويل، ولا يُقصد به الخلود الَّذي بمعنى الأبدية، وإنما المقصود به المكث الطويل.

✽ وهناك قولٌ ثالث في هذه المسألة: وهو أن يُقال نعم المقصود بالآية الخلود، ولكن هذا من باب الوعيد، والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قد يعفو، ولا ينفض وعيده إن شاء، وأن هذا مما يُمدح ولا يُذم، الَّذي يُذم هو عدم إنفاذ الوعد، أمّا عدم إنفاذ الوعيد فلا يُذم.

ويُروى أنَّ مناظرةً حدثت بين رأس الخوارج عمرو بن عبيد وبين أحد القراء، أظنه الإمام ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ - أو غيره حول هذه المسألة، فقال عمرو بن عبيد، عمرو بن عبيد لأنه كان يرى رأي المعتزلة، والمعتزلة وافقوا الخوارج في إخراج مرتكب الكبيرة من الإسلام، ولكنهم لم يدخلوه في الكفر، الخوارج أخرجوه من الإسلام وأدخلوه في الكفر، أمَّا المعتزلة فأخرجوه من الإسلام ولم يدخلوه في الكفر، وقالوا: هو في منزلة بين المنزلتين، أثار هذا أحد أصولهم، ورأس من رؤوس المعتزلة هو عمرو بن عبيد، وطبعًا اتفقوا مع الخوارج في خلوده في النار، أنه خالد في النار؟

فقال: (ماذا تقول في قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [النساء: ٩٣]؟)، فقال له ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ - : (من العجمة أتيت)، لو كنت تفهم كلام العرب لعرفت أن إنفاذ الوعيد ليس بواجب، بل عدم إنفاذه هو مما يمدح عليه الإنسان، ثم ذكر له البيت الشهير الذي جاء فيه:

وَإِنِّي أَوْعَدُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ مَخْلُفٌ إِيْعَادِي وَمُنْجِزٌ مَوْعِدِي

الإنسان يمدح نفسه، أي: من فضائله أنني إذا أوعدته أو وعدته، أو وعدته: أي: بالشر والسوء والعقوبة، (أو وعدته) أي: بالخير والبشارة، لمخلف إيعادي، أي: كرمًا مني، ومنجز موعدي.

إذا هذه ثلاثة أوجه فسّر فيها أهل السنّة والجماعة هذه الآية الكريمة، وما جاء مثلها؛ كقول النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حديث المنتحر أن الذي يقتل نفسه فإنه يُعطى الآلة التي قتل بها نفسه يجأ بها نفسه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها، والذي تردى من جبل لا زال يتردد في جهنم خالدًا مخلدًا فيها، مع أننا نعتقد أن الانتحار ليس مما يكفر به الإنسان، وأن المنتحر مسلم يُقال فيه كما قيل فيه هذه الآية الكريمة.

وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ

لمن يهوى ويميل إلى هذا المقال؛ (يُرْدِي وَيَفْضَحُ)، أي: لا يصلح أن يتبناه الإنسان المسلم، بالمقابل

وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لِعُوبًا بِدِينِهِ أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالَّذِينَ يَمْرُحُ

عكس الخوارج هناك المرجئة، المرجئة: أخذت تسميتهم من الإرجاء، والإرجاء هو التأخير، أرجأته

كذا أي: أخرته، كما قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤَيِّرُ إِلَيْكَ مَنْ**

تَشَاءُ﴾ [الأحزاب: ٥١]، أي: تؤخر وتؤجل، سموا بذلك لأنهم أرجأوا وأخروا العمل عن مسمى

الإيمان، فأخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، خلافاً لما يعتقدُه أهل السنَّة والجماعة أن الإيمان قولٌ

واعتقادٌ وعملٌ.

فإخراج العمل عن دائرة الإيمان هو قول المرجئة، والمرجئة أنواع:

✽ هناك من المرجئة الَّذِينَ غلوا في إرجائهم، هم غلاة المرجئة، هم الَّذِينَ قالوا: أن الإيمان مجرد اعتقاد

القلب، وأنه لا يضر مع هذا الإيمان ذنب، وأن الناس متساوون في إيمانهم، فإيمانُ أفسق الناس كإيمان

جبرائيل وميكائيل، وهذا قولٌ باطل، بل إنه فيه نقضٌ للشريعة، قال: يكفي أن تعتقد أن الله موجود،

وأن الإسلام حق، وتشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، حتى ما ألزموه بنطقها، عندهم

الإيمان اعتقاد القلب فقط.

✽ لذلك لم يُعَرَفْ أحدٌ بعينه تبنى هذا القول بحذافيره - كما يقال -، فاعتقدوا أن الإيمان هو مجرد

تصديق القلب فقط.

✽ القول الثاني أو المذهب الثاني من مذاهب المرجئة: هم الَّذِينَ قالوا إن الإيمان هو مجرد القول فقط،

ولم يشترطون تصديق القلب ولا العمل، وهذا قول الكرامية أتباع محمد بن كرام كانوا يعتقدون هذا

الاعتقاد.

✽ وهناك منهم أيضًا من المرجئة: مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْإِيْمَانَ تَصْدِيقُ الْقَلْبِ وَقَوْلُ اللِّسَانِ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِيهِ الْعَمَلُ، وَهَؤُلَاءِ أَحْفَ أَنْوَاعِ الْمَرْجئةِ، وَبَعْضُهُمْ يَسْمِي هَذَا الْمَعْتَقِدَ هُوَ قَوْلُ مَرْجئةِ الْفُقَهَاءِ؛ لِأَنَّهُ كَثُرَ مَعَ الْأَسْفِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ، حَتَّى أَنَّهُ نُسِبَ إِلَى الْإِمَامِ أَبُو حَنِيفَةَ -رَحِمَهُ اللهُ- أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ بِهَذَا الْقَوْلِ، وَجَمَعَ مِنَ الْفُقَهَاءِ لَا سِوَا فَقَهَاءِ الْكُوفَةِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْإِيْمَانَ هُوَ اعْتِقَادُ الْقَلْبِ، وَالنُّطْقُ بِاللِّسَانِ وَلَا يَدْخُلُ الْعَمَلُ فِي مَسْمَى الْإِيْمَانِ.

← لَذَلِكَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ فِي كِتَابِ [الْإِيْمَانِ]: كَانَ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: (بَابُ الصَّلَاةِ مِنَ الْإِيْمَانِ)، (بَابُ الزَّكَاةِ مِنَ الْإِيْمَانِ)، (بَابُ الصَّلَاةِ)، يَقُولُ الشَّرَاحُ: كَانَ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ، كَانَ يَقْصِدُهُمْ فِي الرَّدِّ، وَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ مِنَ الْمَذَاهِبِ الْمُبْتَدَعَةِ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ مِثْلَ غَلَاةِ الْمَرْجئةِ، فَغَلَاةِ الْمَرْجئةِ قَدْ كَفَّرَهُمُ الْعُلَمَاءُ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ لَا يُشْتَرَطُ حَتَّى جِنْسِ الْعَمَلِ وَلَا الْقَوْلِ، وَلَا... أَبَدًا، مَجْرَدَ تَصْدِيقِ الْقَلْبِ، وَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ بَاطِلٌ.

★ ما دليل بطلانه؟

دليل بطلانه أن هذا التصديق بالقلب قد حصل لعتاة الكفار، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾** [النمل: ١٤]، أي: قد حصل الشرط الذي قاله هؤلاء غلاة المرجئة لأبي جهل، أبو جهل عندهم مؤمن، بل بعضهم ناقض إيمان الشيطان إبليس، بعضهم قال: إبليس مؤمن بناءً على هذا المعتقد الخبيث.

(لَعُوبًا بِدِينِهِ)، لِمَاذَا؟ لِأَنَّ الْإِرْجَاءَ يُوْدِي إِلَى عَدَمِ التَّمَسُّكِ بِالْإِيْمَانِ، فَالْمَرْجئةُ وَمَعْتَقِدُ الْإِرْجَاءِ هُوَ مَعْتَقِدٌ خَبِيثٌ يُوْدِي إِلَى نَقْضِ عُرَى الْإِيْمَانِ، بِاعْتِقَادِ أَنَّهُ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِسْلَامِ ذَنْبٌ، وَلَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيْمَانِ مَعْصِيَةٌ، وَيَسْهَلُ عَلَى النَّاسِ ارْتِكَابَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْاصِيِ.

(أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالْإِيْمَانِ يَمْرُحُ)، أي: مَا لِمَنْ يَعْتَقِدُ اعْتِقَادَ الْمَرْجئةِ أَنَّهُ سَيَكُونُ دِينُهُ هَوًّا وَلَعْبًا؛ لِأَنَّهُ لَنْ يَخَافُ، وَسَيُوْدِي ذَلِكَ إِلَى انْحِلَالِ عُرَى هَذَا الْإِيْمَانِ الْعَظِيمِ.

وَقُلْ إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مَصْرَحٌ
وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوِزْنِ يَرْجَحُ

عرفنا معتقد أهل السنة والجماعة في عدم تكفير مرتكب الكبيرة، وأنه إذا تاب تاب الله عز وجل عليه، وإذا مات على معاصيه ومعه أصل التوحيد فهو تحت مشيئة الله عز وجل، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه.

ثم بين الفرقتين الضاليتين اللتين خالفتا قول أهل السنة والجماعة في ذلك على طرفي نقيض، وهم الخوارج والمرجئة، ثم ذكر الشيخ هنا أصل هذا المعتقد الذي أدى بهؤلاء إلى الخروج عنه، وهو أن الإيمان قول.

وَقُلْ إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مَصْرَحٌ

فيعتقد أهل السنة والجماعة أن الإيمان هو قول باللسان، واعتقاد بالجنان أي: بالقلب، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

وَقُلْ إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مَصْرَحٌ

(وَيَنْقُصُ طَوْرًا) أي: تارة (بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمِي) أي: يزيد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، (وَفِي الْوِزْنِ يَرْجَحُ)، وذلك دليل دخول العمل في مسمى الإيمان كما عليه أهل السنة والجماعة أدلة كثيرة:

✽ منها: قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، قال المفسرون: أي:

صلاتكم، فجعل الصلاة من الإيمان.

❦ ومنها: قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾** [الأنفال: ٢]، فقالوا: الإيمان يزيد، **﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾** (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿[الأنفال: ٢-٣].

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قال لو فد عبد القيس: «أمركم بأربع الإيمان بالله»، ثم قال: «وهل تدرون ما الإيمان بالله؟ فقال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس»، ففسر النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الإيمان بالأعمال.

❧ وفي الصحيحين أيضًا من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: «الإيمان يضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»، وهذا صريح في جعل العمل داخل في مسمى الإيمان.

هذا قول أو معتقد أهل السنة والجماعة، وخالف في ذلك مع الأسف الشديد مَنْ خالف، كما قلنا قبل قليل أهل السنة والجماعة عندهم الإيمان قولٌ وعملٌ واعتقاد، أهل البدع كل واحد منهم أخذ أحد هذه الثلاثة، فالجهمية ومن وافقهم مثلنا قلنا قليل وهم غلاة المرجئة، قالوا: أن الإيمان هو التصديق في القلب فقط، وهذا القول أيضًا مع الأسف قال به الأشاعرة.

❧ **فالأشاعرة عندهم أن الإيمان هو التصديق فقط**، التصديق دون أن يدخل في العمل، ولذلك يفسرون الإيمان بالتصديق، ويفسرون الزيادة والنقص لهذه النصوص التي ذكرناها قبل قليل كيف؟ قالوا: يزيد هذا التصديق، أي: قوة التصديق تزيد وتنقص، يفسرون الزيادة والنقص بزيادة التصديق ونقصانه.

❖ القول الأول: هو قول أهل السنة والجماعة.

❖ القول الثاني: قول الجهمية ومن وافقهم.

❖ القول الثالث: قول الكرامية الذي ذكرناه قبل قليل، وهو أن الإيمان هو القول فقط.

❖ القول الرابع: قول بعض المعتزلة، وهو أن الإيمان هو العمل فقط.

فإذا هذه الثلاثة كل واحدة انفرد بها بعض طوائف أهل البدع.

❖ وهناك القول الخامس: قول مرجئة الفقهاء الذي ذكرناه قبل قليل، وهو أن الإيمان هو التصديق والقول فقط.

❖ والقول السادس: وهو قول المعتزلة والخوارج، أن الإيمان ثلاثة، قول وعمل واعتقاد، ولكنهم جعلوا نقصان شيء منها نقض للإيمان كله، وافقوا أهل السنة في إدخال الثلاثة في مسمى الإيمان، ولكن خالفوهم في قضية الإيمان يزيد وينقص، ما عندهم يزيد وينقص، عندهم إما أن يكون مؤمناً أو غير مؤمن.

فمن أنقص شيئاً من العمل الذي عندهم دخل في مسمى الإيمان، جعلوه ليس ناقصاً، جعلوه ناقصاً، فأخرجوا مرتكب الكبيرة من دائرة الإسلام، الخوارج والمعتزلة، أما الخوارج فأدخلوه في الكفر، أما المعتزلة فأخرجوه من الإسلام وجعلوه في منزلة بين المنزلتين - كما علمنا قبل قليل -.

وهذا المذهب مذهب الخوارج لا شك أنه مذهب خطير؛ لأنه يدعو إلى استحلال دماء المسلمين، الحكم عليهم بالكفر، وهذا الذي حصل في أواخر عهد الصحابة استحلوا قتل المسلمين، استحلوا دماءهم، وصار هناك قتال، حتى الصحابة ما سلموا منهم، الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - كفروهم، كفروا علياً، وكفروا معاوية، وكفروا عثمان قبل ذلك، هؤلاء الخوارج.

★ كذلك المرجئة وهم مقابل الخوارج أيضًا مذهبٌ مذموم، من أفسد المذاهب، لذلك قال الزهري -رَحِمَهُ اللهُ- الإمام الزهري: (ما أُبتدِعَ في الإسلام بدعة أضر على أصله من الإرجاء)، وقال الأوزاعي -رَحِمَهُ اللهُ-: (كان يحيى بن أبي كثير وقتادة يقولان ليس شيءٌ من الأهواء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء).

كهِ وقال شريك القاضي -رَحِمَهُ اللهُ-: (المرجئة أخبث قوم، حسبك بالرافضة خبثًا، ولكن المرجئة يكذبون على الله)، وقال سفيان الثوري: (تركت المرجئة الإسلام أرق من الثوب السابري).

والثوب السابري هذا: ثيابٌ رقيقة جدًا كانت تُصنَع في بلاد فارس، تُنسب إلى سابور، أي: مثل الثوب الشفاف، جعلوا الإسلام مثل الثوب الشفاف لا يقي شيئًا، لذلك يجب أن يُحذر من هذين المسلكين، ومن هاتين الفرقتين كلاهما خرجا عن دائرة أهل السُنَّة والجماعة، الخوارج الَّذِينَ يكفرون المسلمين بالذنوب والمعاصي، والمرجئة الَّذِينَ يجعلون حتى الكافر يجعلونه مسلمًا، وأهل السُنَّة والجماعة - كما قلنا - وسطٌ بين هاتين الطائفتين.

لذلك المسلم الَّذي يريد أن ينجو عليه أن يتمسك بالكتاب والسُنَّة، ويدع عنه هذه البدع، وهذه كانت وصية للشيخ الإمام ابن أبي داود -رَحِمَهُ اللهُ- ختم بها هذه المنظومة فقال:

وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرَّجَالِ وَقَوْلَهُمْ فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ
وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَّهَوْا بِدِينِهِمْ فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ
إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِبَ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبَيَّنَتْ وَتُصْبِحُ

← سبب وجود هذه الطوائف المبتدعة: هو عدم تمسكهم بالكتاب والسُنَّة، لأنَّ التمسك بالكتاب والسُنَّة يقي من هذه الأهواء، ومن هذه الفرق المبتدعة، فقومٌ غلبوا العقل على النصوص، وردوا بل حكموا على ظواهر النصوص بأنها كفر، هناك مَنْ يقول أن ظاهرًا القرآن مَنْ اعتقد ظاهرًا فقد كفر، لذلك لجأوا إلى التأويل، وإلى التعطيل، وإلى التحريف، كل هذا بسبب الإعراض.

أما أهل السنة والجماعة هم أسعد الناس بالكتاب والسنة، قالوا: ما جاء بالكتاب والسنة نعتده، وما لم يأت به لا نعتده، ومع ذلك هم أقرب الناس إلى العقل، كيف؟ لما جاء المشركون إلى أبي بكر الصديق -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بعدما أعلن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عما حدث معه في الإسراء والمعراج، جاءوا لأبي بكر يهرعون فقالوا: يا أبا بكر، أما سمعت ما قال صاحبك؟ قال: (ماذا قال؟)، قال: أنه أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليل، فماذا قال أبو بكر؟ قال -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: (إِنْ كَانَ قَاهَا فَقَدْ صَدَق).

أي: ما يهمني الذي قاله بقدر ما يهمني هل قاله فعلاً، قبله عقلي الآن، استوعبه، لم يستوعبه، أدركه، لم يدركه، وهذه قضية تُرجأ لأنظر هل قاله؟ إن قاله فقد صدق، ثم بين وقال -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: (إني أصدقه فيما هو أعظم من ذلك، أصدقه في خبر السماء)، لذلك موقف الصديقين هو موقف أهل السنة والجماعة يأتي النص في القرآن والسنة فيه ما لم نستوعبه، نعم، نقول: نؤمن به على ما جاء في كتاب الله، على الوجه اللائق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا نأوله، ولا نعطله، بل نعتده، ولا نحاول أن نصرف الآيات والأحاديث عن ظاهرها، ولا نضرب بعضها ببعض، هذا ما كان عليه السلف -رحمة الله عليهم-.

وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ

مهما تكلم المتكلمون فلا أفضل ولا أزكى من كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَّهَوْا بِدِينِهِمْ)، أي: جعلوا دينهم لهواً ولعباً، (فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ)، هناك من يزدرى يقول: هؤلاء الذين يقفون على ظواهر النصوص يسمونهم بعضهم حشوية، بعضهم يسميهم أصحاب البلادة يصفونهم ببعض الأوصاف التي تقلل من قدرهم، وأن عكس هؤلاء هم أهل العقل، وهم أهل الكلام، وهم أهل النظر، والنظار والمتكلمون.

ثم مآل هؤلاء النظار والمتكلمين إلى الحيرة، وإلى الضلال والهدى خير الهدى هدي محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهنا يجدرنا الشيخ يقول:

وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَّهَوْا بِدِينِهِمْ فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ
الَّذِينَ نَقَلُوهُ وَتَمَسَّكُوا بِمَا جَاءَ فِيهِ (وتقدح).

ثم قال: (إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ) أي: إذا ما اعتقدت ما أقوله (الدهر) أي: طيلة الدهر وطيلة الزمان، (يَا صَاحِبِ) أي: يا صاحبي، وهذا ترخيم، الترخيم: هو حذف أو آخر الكلمة ترفيقاً؛ كقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأم المؤمنين عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -: «يَا عَائِشُ»، هذا يُسَمَّى الترخيم.

(إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِبِ هَذِهِ)، أي: إذا ما اعتقدت ما ذكرته لك في هذه القصيدة، (فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبَيَّنْتُ وَتُضْبِحُ)، ستكون على خير، ولن يضررك إن شاء الله شيء في الدنيا والآخرة، وإذا مت على هذا فأنت على معتقد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وصفاته العلى أن يحمينا وإياكم على سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يميّتنا عليها، وأن يبعثنا في لوائه - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ويظننا تحت عرش ظله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِنَّهُ وَلِي ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



